* سِلْسِلةُ اللطائف الأدبيّة (٢)

كَافَاتُ الشِّتَاءِ!



صَنْعَةُ

أ.د. أحمد بن علي القَرني

١٤٤٢ هـ

إِذَا مَـا البَــرْدُ جَـاءَكَ فِي جُيُـوشٍ
يَضِيـقُ بِسَـاحِهَا رَحْـبُ الفَضَـاءِ
وَرُمْـتَ سَـلَامَةً مِنْهَـا وَنَصْـراً
فَقَابِلْهَـا بِــ (كَافَـاتِ الشِّـتَاءِ)!

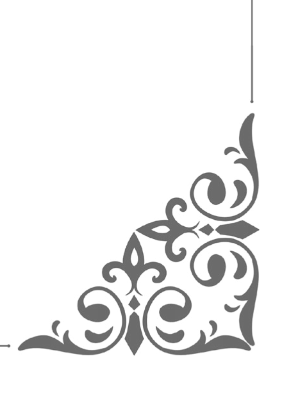
النشْرةُ الأولى

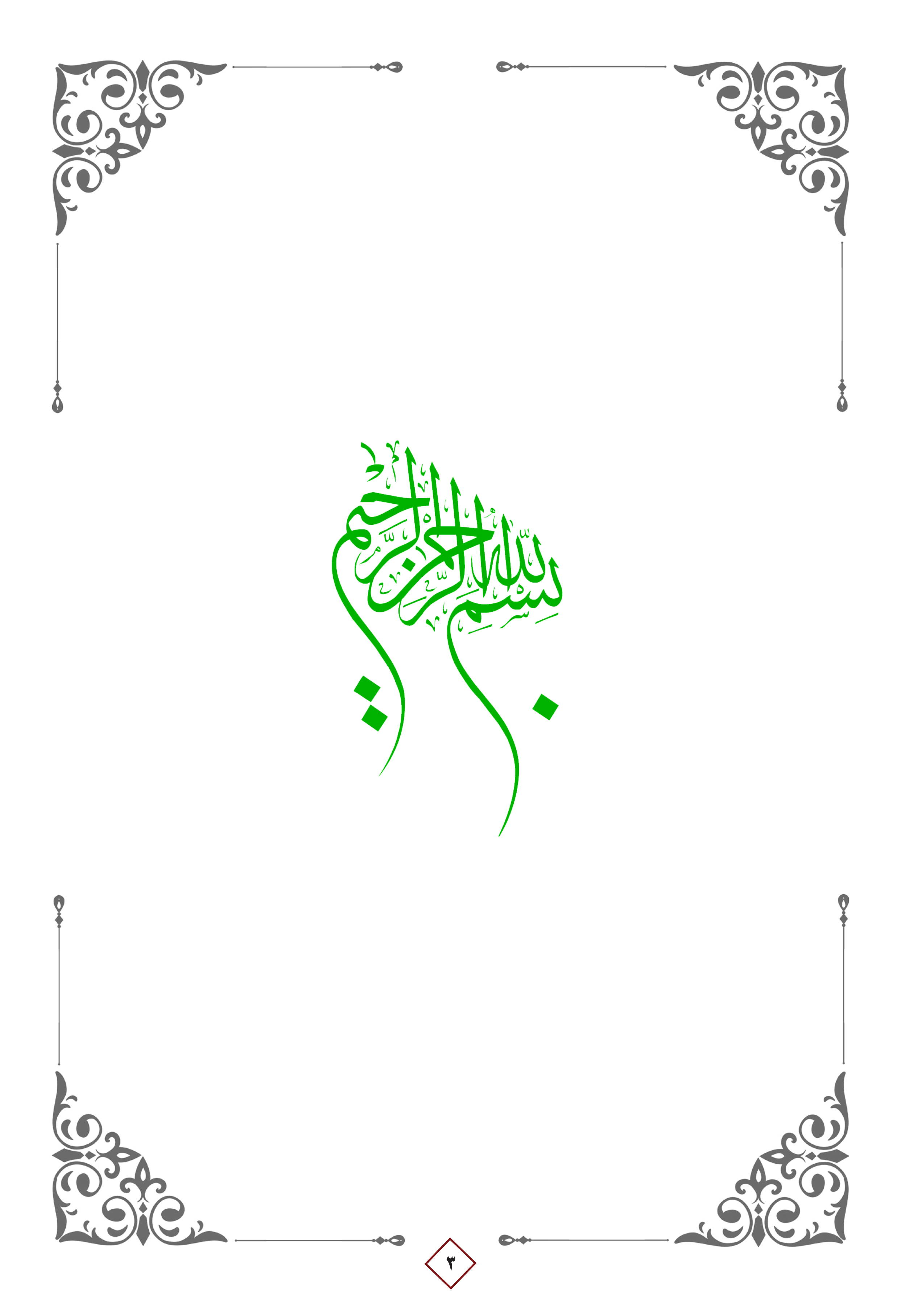
جُمادى الآخِرة ١٤٤٢ هـ

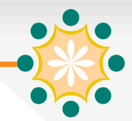
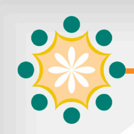
لِلتَّواصُلِ مَعَ الـمُؤَلِّفِ
على البَريدِ الشَّبَكيِّ

DAL1388@gmail.com






بسم الله الرحمن الرحيم

الصّدْرُ

الحمدُ للهِ الذي فجَّرَ على ألسنةِ الأُدباءِ عُيونَ الحِكَم، وأجرى على أسنّة أقلامِهم أنهارَ الكَلِم . فجاؤا بالـمُرْقِص الـمُطْرِبِ الذي يَـخْلُبُ اللُّبّ، واستخرجُوا مُخبّآتِ المعاني من غَيَابةِ الـجُبّ.

والصلاةُ والسـلامُ على مَنْ بَشَّرَ بِهِ عِيسـى الـمَسيحْ، صاحبِ الوجـهِ الصَّبيـحِ والـمَنطـقِ الفَصِيـحْ، الصَّـادعِ باللفـظِ الـمَليحِ والـمَعنى الصحيحْ.

وعلى الآلِ والأصحاب، ومَنْ سار على نَهجِهِم إلى يوم المآلِ والمآب.

وبعدُ؛

- ١ -

فقد بـدا لي - وقد هَجَمَ علينا فصلُ الشِّـتاءِ ورمانا بكَلْكَلِه - أنْ أصْطليَ من بَرْدِه، بِلَمِّ شـتاتِ ما جاءَ فيه من أشـعارٍ مُسْتَلْطَفَة،

وأخبارٍ مُسْتطْرَفَة، فكان هذا الـمَرْقومُ![1].

وأكثرُ مَنْ سَـلَكَ هذا الـمَهْيعَ هم الأدباءُ والشعراءُ، فقد تفنّنوا في وصفِ الشـتاءِ وبَرْدِه، وبَرْقِـه ورَعْدِه، وأجْلبوا في ذلك بخَيلِهِم ورَجِلِهِم!

فمِن ذلك قولُ بعضِهم يصفُ شِـدّةَ البَرْد: «بَرْدٌ يُغيّرُ الألوان، ويُنشِّفُ الأبدان. بَرْدٌ يُقَضْقِضُ الأعضاء، ويَنفضُ الأحشاء. بَرْدٌ جَمَّد الرِّيقَ في الأشداق، والدمعَ في الآماق. بَرْدٌ حالَ بين الكَلْبِ وهَريرِه، والأسدِ وزَئيرِه، والطيرِ وصَفيرِه، والماءِ وخَريرِه!»[2].

---

(١) **لطيفة:** أصدر الشـاعرُ الناثرُ سـليمُ بن روفائيل عنحوري - وهو من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشـق - مجلةً بالقاهرة سـمّاها «**مجلةَ الشِّـتاء**»، وهي مجلة أدبية علمية تاريخية فكاهية، والعجبُ أنها تظهر شتاءً وتحتجب صيفاً!!
قـال الزِّركلـي في ترجمتـه: «كان يقضـي فصلَ الشـتاء من أكثـر الاعوام في القاهرة، فأصدر فيها مجلةَ (الشـتاء)، وكان كثيرَ النظم، قليلَ النوم، أخبرني بدمشـق (سنة ١٩١٢) أنه منذ ثلاثين عاماً لم ينمْ أكثرَ من ثلاث ساعات في اليوم! تتناوب بناتُه السـهرَ معه، يَخدمنَه ويَكتبْنَ ما يُملي من نظمٍ وغيره».
انظر: الأعلام (٣/ ١١٨)، ومجلة المقتبس (العدد: ٣).

(٢) سـحر البلاغة وسـر البراعة للثعالبي (ص: ١٩)، وربيـع الأبرار ونصوص=

وقال القاضي الفاضل[١]: «في ليلةٍ جَمَدَ خَمرُها، وخَمَدَ جَمرُها، إلى يوم تَودّ البَصَلَةُ لو ازدادت قُمُصًا إلى قُمْصِها، والشمسُ لو جَرّت النارَ إلى قُرْصِها!»[٢].

أخذ هذا المعنى جلالُ الدين الماردِيني المعروف بابن الصفَّار[٣] **فقال:**

= الأخيار للزمخشري (١/ ١٣٩)، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (١/ ١٦٩).

(١) هو عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، المعروف بالقاضي الفاضل: وزيرٌ، من أئمة الكتّاب.
ولد بعسقلان (بفلسطين) وانتقل إلى الإسكندرية، ثم إلى القاهرة وتوفي فيها.
كان من وزراء السلطان صلاح الدين، ومن مقرَّبيه، ولم يخدم بعدَه أحداً، قال بعضُ مُترجميه: «كانت الدولةُ بأسرها تأتي إلى خدمته!» وكان السلطان صلاح الدين يقول: «لا تظنوا أني ملكتُ البلادَ بسيوفكم بل بقلم الفاضل!» وكان سريعَ الخاطر في الإنشاء، كثيرَ الرسائل، قيل: لو جُمعت رسائلُه وتعليقاتُه لم تَقصُرْ عن مئة مجلد! وهو مُجيدٌ في أكثرها. وقد بقي من رسائله مجموعاتٌ، وله ديوانُ شعر. (ت ٥٩٦ هـ). الأعلام للزركلي (٣/ ٣٤٦).

(٢) الوافي بالوفيات للصفَدي (١٥/ ٥١)، وفوات الوفيات للكُتبي (٣/ ١٢٢)، وصبح الأعشى للقلقشندي (٢/ ٤١٢).

(٣) هو علي بن يوسف بن شيبان، جلال الدين الماردِيني المعروف بابن الصفّار؛ مولده بماردين سنة خمس وسبعين وخمسمائة، ومات مقتولاً،=

ويـــومُ قَـــرٍّ بـــردُ أنـفـاسِـه
تُـــمـزّقُ الأبـــدانَ مِـن قَرْصِـهـا
يــومُ تَــودُّ الـشـمـسُ مـن بَـردِه
لـو جَـرّت الـنـارَ إلـى قُرْصِهـا![1]

ومِــن كلامِ أبي عبد الله بنِ أبي الخصــال[2] يصف ليلةً باردةً:
«الكلــبُ قد صافح خَيشُــومُه ذنَبَه، وأنكر البيــتَ وطُنُبَه، والْتوى التــواءَ الجِبَـاب، واسـتدارَ اسـتدارةَ الحُبَـاب، وجَلَـدَه الجليدُ،

= قتلته التتارُ لما دخلوا ماردين سنة ثمان وخمسين وستمائة.
خـدم بكتابة الإنشـاء الملكَ المنصـور ناصر الدين أرتـق صاحب ماردين، وتولى كتابةَ أشـراف دُنيسر ثماني عشرة سـنة؛ كان شاعراً مجيداً، وله فضل وأدب، وصنف كتاباً يحتوي على آداب كثيرة وسـماه كتاب « أُنس الملوك » وله شعر رائق. **انظر**: فوات الوفيات للكتبي (٣/ ١١٩).

(١) الوافي بالوفيات للصفدي (١٥/ ٥١)، وفوات الوفيات للكتبي (٣/ ١٢٢)، وصبح الأعشى للقلقشندي (٢/ ٤١٢).

(٢) هو محمد بن مسعود بن طيّب بن فرج ابن أبي الخِصَال الغافقي، أبو عبد الله (ت ٥٤٠ هـ) وزير أندلسي، شاعر، أديب، يلقب بذي الوزارتين. ولد بقرية (فرغليط) من قرى (شـقورة) وسـكن قرطبـة وغرناطة. وأقـام مدة بفاس. وتفقـه وتأدب حتى قيل: لم ينطلق اسـمُ كاتبٍ بالأندلـس على مثل ابن أَبي الخِصَال. له تصانيف عدة. **انظر**: الأعلام للزركلي (٧/ ٩٥).

وضَرَبَه الضَّرِيبُ، وصعَّد أنفاسَه الصعيدُ، فحِماه مُباحْ، ولا هَرِيرَ ولا نُباحْ، والنارُ كالصديق، أو كالرحيق، كلاهما عَنقاءُ مُغرِب[(١)]، أو نَجْمُ مَغْرِب!»[(٢)].

---

(١) **عنقاءُ مُغْرِب:** هو طَائِرٌ زَعَمُوا أنه كان على عهد حَنْظَلَة بنِ صَفْوَان الحِميري نبيِّ أهل الرس. عَظِيمُ العُنُق. وقيل: كان في عُنُقه بَيَاضٌ؛ لذلك سُمّي عنقاء، وكان أحسن طَائِرٍ خلقه الله، فاختطف غُلَامًا فأغْرب به؛ ولذلك سُمّي المُغْرِب، فدعا عليه حَنْظَلَةُ فرُمي بصاعقةٍ.
وقيل: إنّه طائرٌ وَهْميٌّ يُضرَب به المثل في طلب المُحال الذي لا يُنال.
وفي أمثالهم: (طارت به عنقاءُ مُغرب) إذا فُقد، وفي شعر أبي العلاء:

أرى العنقاءَ تَكبُر أن تُصادا ... فعانِدْ مَنْ تُطيق له عِنادا!

انظر: المستقصى في أمثال العرب للزمخشري (٢/ ١٥٠)، وسِفر السعادة وسفير الإفادة لعلم الدين السخاوي (٢/ ٩١٧)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر (٢/ ١٦٠٣).

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة للشنتريني (٦/ ٧٩٢).
- **وتأمّل معي هذا الوصفَ المخيفَ للشتاء** الذي دبَّجته يراعةُ الكاتب البليغ ابن عرب شاه (ت ٨٥٤ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك حيثُ **يقول:** «أبرَدَ هلالُ القوس سهمَ بَرْده بمرسومه إلى كل صِماخْ، يُخبر أن جندَ الشتاء على عالم الكونِ والفسادِ أناخْ. فليستعدّ له الكُفاة، وليحذرْه العُراةُ والحُفاة. ولا يكتفوا في كفّه **بكافاته** فما كلُّ كافٍ له كُفُوا؛ لأنه في هذه المرة آيةٌ من آيات الله فلا تَتخذوا آياتِ الله هُزُوا. وأنّ قصدَه بقدومه تبريدُ الأنفاس، وتشويطُ الأنوف والآذان وإسقاطُ الأكارع وقلعُ الراس .... =

= ثم زمجر بعواصف رياحه الباردة، وخيّم على العالم بخيام غيومه الصادرة والواردة. فارتعدتِ الفرائصُ من زئيره، ولاذَ كلٌّ من الحشرات بقَعْر جَهنّمه خوفًا من زمهريره. وخمدت النيران، وجمدت الغُدران، وارتجفت الأوراقُ ساقطةً من الأغصان. وخرّت على وجهها الأنهار، جاريةً من الأنجاد إلى الأغوار. وتخيّست الأسودُ في أخياسِها، وتكنّست الظباءُ في كُناسِها. وتعوّذ الكونُ من آفته، واصفرّ وجهُ المكان من مخافته. واغبرّت خُدودُ الرياض، وذَبُلَت قُدُودُ الغِياض. وراح ما كان بها من النُّضْرة والارتياح، وأصبح نباتُ الأرض هشيمًا تذروه الرياح ....

وأصبحت مشارقُ الأرض ومغاربُها من الثلوج المنقضّة، كأنها بَرٌّ عرَصَات القيامة أو بحرٌ صاغه الله من الفِضّة. فكانت إذا بزغت الصقعاءُ ولمع الصقيعُ تراءى شيءٌ عَجَب، سماءٌ من فَيروزجٍ وأرضٌ من بلورٍ ما بينها شُذور الذهب. فإن هبّت فيما بين ذلك - والعياذُ بالله - نَسْمَةُ رِيح، على نَسَمَة ذي رُوح، أخمدتْ نَفَسَه، وجمّدته وفَرَسَه ....

وانتهى الشأن إلى أن طابت النار وِرْدا، وصارت لواردها سلامًا وبردا! وأما الشمسُ فإنها ارتجفتْ، وجمدت عينُها من البرد ونشفتْ. وصارتْ كما قيل:

يومٌ تودُّ الشمسُ من برده ... لو جرّت النارَ إلى قُرصها!

فكان الرجلُ إذا تنفّس جمدتْ أنفاسُه على سِباله ولحيتِه، فيصير كأنه فرعون وقد رصّع لحيتَه بحِليتِه. وإن لفَظَ مِن فيه لفظةَ نُخامةٍ عاقدة، لا تصل إلى الأرض - مع ما فيها من الحرارة - إلا وهي بُندقةٌ جامدة! «عجائب المقدور في أخبار تيمور (ص: ٣٨٥) فما بعد.

أخذ هذا المعنى مُرّةُ بنُ مَحْكان السّعدي[١] فقال في وصف ليلةٍ شاتيةٍ وقد نزل عليه ضيفٌ:

في ليلةٍ من جُمادَى ذاتِ أنديةٍ
لا يُبصِرُ الكلبُ مِن أندائِها الطُّنُبَا
لا يَنبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ
حتّى يَلُفَّ على خَيشُومِه الذّنَبَا[٢]

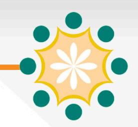
---

(١) مُرَّة بن مَحْكان الرُّبيعي السعدي التميمي، شاعرٌ مُقِلٌّ، يكنى أبا الأضياف، كان سيد بني ربيع (من بني سعد بن زيد مناة بن تميم)، وشهد وقعة (الجفرة) بين جيشيْ عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير، وكانت بينه وبين الفرزدق مُهاجاةٌ.
ومن شعره وقد جلَده الحارثُ بن عبد الله بن أبي ربيعة في بعض أحداثه؛ لأنه كان يقطع الطريق:

عمدتَ فعاقبتَ امرأً كان ظالمًا فألهبَ في ظهري القُباعَ وأوقدا
سِياطًا كأذنابِ الكلابِ، وشُرطةً مقاليسَ راعُوا مُسلمًا مُتهوِّدا!

انظر: معجم الشعراء لابن المرزبان (ص: ٣٨٣)، وأنساب الأشراف للبلاذري (١٢/ ٢٦٠)، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (١١/ ٤٤٧).

(٢) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (٥/ ٤١٧)، وسرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي (ص: ٢٤٥)، والحماسة البصرية لأبي الحسن البصري (٢/ ٢٣٥)، والكشكول للعاملي (١/ ٣٢٤). =




وقد أفــرد العلّامةُ الحريريُّ الشــتاءَ بمقامةٍ ســمَّـاها (المقامة الشَّــتْويّة)(١) بدأها بقوله: «حَكَى الحارثُ بنُ همّام قال: عَشَــوْتُ في ليلَةٍ داجِيَةِ الظُّلَم. فاحِمَةِ اللِّمَم. إلى نارٍ تُضْرَمُ على عَلَم. وتُخبرُ عَنْ كَـرَم. وكانتْ لَيلَـةً جَوُّها مَقْـرورٌ. وجَيْبُها مَـزْرُورٌ. ونَجْمُهَا مَغْمُـومٌ. وغَيْمُهَا مَرْكُومٌ. وأنا فيها أصْرَدُ منْ عَيْنِ الحِرْبَاءِ. وَالعَنْزِ الجَرْبَاءِ. فَلَمْ أَزَلْ أُنصُّ عَنْسِـي. وأقولُ: طُوبَى لَكِ وَلِنفْسِي! إلى أنْ تَبَصَّـرَ الـمُوقِـدُ آلي. وتَبيّنَ إرْقَالـي. فانْحَدَرَ يَعْـدُو الجَمزَى. ويُنْشِدُ مُرْتَجِزاً ......» إلخ ما قال.

= لطيفـةٌ: قـال الأصمعـي: «دخلت على الرشـيد هـارون في يوم قـرٍّ فقال: أنشدْني أبلغَ ما قيل في شِدَّة البرد، فأنشدتُه لمرّة بن مَـحْكان السّعدي:

في ليلـةٍ من جُمـادى ذاتِ أنديةٍ ... لا يُبصِـرُ الكلبُ مـن أندائهـا الطُّنُبا
لا يَنبَـحُ الكلبُ فيهـا غيرَ واحدةٍ ... حتّـى يَلُـفَّ علـى خَيشُـومِه الذّنَبـا

فقال: أريد أبلغَ من هذا، فأنشدتُه لأختِ عمروٍ ذي الكلب:

لا ينبـحُ الكلبُ فيهـا غيرَ واحدةٍ ... حتـى الصبـاحِ ولا تَسـري أفاعيهـا

فقال: أريدُ أبلغَ من هذا، فأنشدتُه:

وليلـةِ قـرٍّ يَصْطلي القـوسَ ربُّها ... وأسـهـمَـهُ الـلاتـي بـهـا يتـنَّبـلُ!

فقال: حسبك ما بعد هذا شيءٌ». سرور النفس للتيفاشي (ص: ٢٤٥).

(١) مقامات الحريري (ص:٣٥٩).

وهي مقامةٌ فائقةٌ ضمّنها طائفةً كبيرةً من الأحاجِي اللُّغوية!

ولابنِ حِكِّينا البغداديّ[١]:

البسْ إذا قدمَ الشّتاء بُرُودا
وافرِشْ على رُغمِ الحصيرِ لُبُودَا

الرّيقُ في اللَّهواتِ أصبحَ جامدًا
والدّمعُ في الآماقِ صارَ بَرُودَا

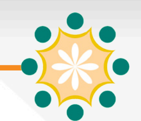
وإذا رميتَ بفضلِ كأسِكَ في الهَوَا
عادتْ إليكَ من العقيقِ عُقُودَا!

وترى على بَرْدِ المياهِ طُيورَها
تَختارُ حَرَّ النارِ والسَّفُّودَا[٢]

---

(١) قال الزركلي في ترجمته: الحسن بن أحمد بن محمد بن حِكِّينا، أبو محمد (ت ٥٢٨ هـ)، من ظرفاء الشعراء الخلعاء. من أهل بغداد، قال العماد الكاتب: أجمع أهلُ بغداد على أنه لم يُرزَق أحدٌ من الشعراء لطافةَ شعره. وقال ابن الدُّبيثي: سار شعرُه وحُفظ، على فقرٍ كان يعانيه وضيق معيشةٍ كان يقطع زمانَه بها. الأعلام (٢/ ١٨١).

(٢) السَفُّودُ – بالتشديد –: الحديدةُ التي يُشْوى بها اللحمُ. الصحاح (٢/ ٤٨٩).

يـا صاحـبَ العُـودَيْـن لا تُـهْمِلْهُما
حَـرِّقْ لنـا عُـوداً، وحَـرِّكْ عُـودَا!

ولأبي القاسم التنوخي[(١)]:

ولـيـلـةٍ تــركَ الــبـردُ الــبـلادَ بها
كالقلـبِ أسـعرَ نـاراً فهـو مَثْلوجُ
فإنْ بسـطتَ يداً لم تنبسـطْ خَصَراً
وإنْ تـقُـلْ فـبقـولٍ فـيـه تثْبيجُ
فنحنُ منه ولم نَخْـرَسْ ذَوو خَرَسٍ
ونحنُ فيـه ولـم نُفلَجْ مَفاليـجُ![(٢)]

---

(١) هو محسـن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن سعيد التنوخي: لغويّ أديب، من القضاة. له شعرٌ، منه قوله:

وكيفَ يُداري المرءُ حاسدَ نعمةٍ   إذا كـان لا يُرضيه إلا زوالُـهـا؟!

قال ابن تغري بردي: كان من أوعية العلم، وله مصنفات كثيرة. مرّ بدمشـق مجتـازاً إلى الحج، فمات في الطريق، وحُمل إلى المدينة فدفن بالبقيع سـنة (٤١٧ هـ). **انظر**: الأعلام للزركلي (٥/ ٢٨٧).

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (١/ ١٣٦)، وصبح الأعشى (٢/ ٤١٣).

وَمَا ألطفَ قَولَ الْبَهَاء زُهَيْر في هذا المَعْنى:

أدْرِكُـــوني فَبِـي مـنَ البَـــرْدِ هَـمٌّ

ليسَ يُنْسَـى، وَفِي حشـايَ التهابُ

كلَّمــا ازْرقَّ لونُ جِسْـمي منَ الْبَـرْ

دِ تـخيَّلْـتُ أَنـــه سِـنـجابُ![1]

وقال أبو محمد عبد الله بن عثمان الواثقي:

ولـيـلـةٍ شــابَ بـهـا الــمَـفْـرِقُ

قـد جَــمَـدَ الـنـاظـرُ والـمـنطقُ

كـأنَّـمـــا فَـحْـمُ الـغَـضَـا بيننَا

والـنــارُ فـيـه: ذهـــبٌ مُـــحْـرِقُ

أوْ سَــبَـجٌ في ذهـــبٍ أحـمـرٍ

بـيـنـهـمـا نَـيْـلُـوفَـرٌ أزرقُ![2]

---

(١) معاهد التنصيص للعباسي (١/ ٣٧٣).

(٢) يتيمة الدهر للثعالبي (٤/ ٢٢٠).

ولأحمدَ شوقي:

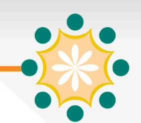
وَاتَّـقِ البَـرْدَ فَكَـمْ خَلـقٍ قَتَـلْ
مَـنْ تَوَقّـاهُ اتَّقـى نِصـفَ العِلَلْ![1]

وقال الشـيخُ أحمد سحنون الجزائري (ت ١٤٢٤ هـ) يصفُ تقهقرَ الشتاءِ أمامَ الربيعِ!:

قـد تـجلَّـى لـنا مُـحَيًّا الـربـيعِ
رَافـلاً في ثـيابِ حُـسْـنٍ بـديعِ
وتـولّـى الـشـتـاءُ يَعـثُـرُ في أذيا
لِـه مُسـرِعَ الخُطَـى في الرجـوعِ!
كـان ضيفًا على النفوسِ ثقيلاً
لـم تَـجُـدْ يـومَ بَـيْـنِه بـدمـوعِ!
كـان للبائسينَ سَـوطَ عـذابٍ
إذْ تـولّـى بـغُـصَّـةٍ في الـضُّـلـوعِ

---

(١) الشوقيات (ص:٧٠٧).

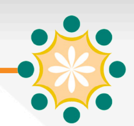
كم طريحٍ على الثرى ماتَ جُوعًا
ويتيمٍ على الطريقِ صريعِ
لم يذوقوا طعمَ الهناءِ نهاراً
لم يذوقوا في الليلِ طعمَ الهجوعِ
زَمْهَريرٌ يَفري الجلودَ مُذيبٌ
وثلوجٌ تأتي بإثرِ صقيعِ
ورُعودٌ لها هَزيمٌ مُريعٌ
ودَوِيٌّ يَصمُّ سمعَ السميعِ
ذاك جيشُ الشتاءِ ولَّى كسيراً
مُذْ أطلَّتْ عليه شمسُ الربيعِ![1]

وربّما بالغ بعضُهم مبالغةً فاحشةً، كما في خبرِ هذا الأعرابيّ الجاهل!

قال الأصمعيُّ: رأيتُ أعرابيًا وقد حفر حفرةً في يوم شديد البرد، فقلتُ: ما هذا يا أعرابيّ؟ قال: مِن شدّة البرد، فقلتُ: هل

(١) ديوان الشيخ أحمد سحنون (١/ ٤٤).





قلتَ في ذلك شيئًا ؟ قال: نعم، فأنشأ **يقول:**

فيـا رَبِّ إنّ البـردَ أصبـحَ كالِحـًا
وأنـتَ بحالـي عالِـمٌ لا تُعلَّـمُ
فـإنْ كنـتَ يومـًا مُدْخِلـي في جهنّمٍ
ففي مثلِ هذا اليومِ طابتْ جهنّمُ !![1]

---

(١) **انظر**: ربيع الأبرار (١/ ١٤١)، والمجموع اللفيف للأفطسي (ص: ٢٠٣)، والمستطرف للأبشيهي (ص: ٤٧٢).

وبالمناسبة، فإنّ النارَ في الشِّتَاء تُعدُّ فاكهةً! ولذا يُقَال للنار: فَاكِهَةُ الشِّتَاء.

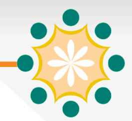
قال الشَّاعِرُ:

النَّـارُ فَاكِهَـةُ الشـتَاءِ فَمَـنْ يُـرِدْ ... أكـلَ الْـفَـوَاكِـه شاتيًا فليصْطَلِ
إنَّ الفواكـهَ في الشـتاءِ شَـهيةٌ ... والـنـارُ لـلـمَـقْـرورِ أفضـلُ مَـأْكـلِ!

وقال الحريري في مقامته الشَّـتْويّة: «وهُمْ يَجتَنونَ فاكِهةَ الشّـتاء. ويمرَحونَ مرَحَ ذَوي الفَتاء. فأخذْتُ مأْخذَهُمْ في الاصْطِلاء. ووجدْتُ بهِمْ وَجْدَ الثّمِلِ بالطِّلاء».

ويُحكَـى أنّ أعرابيـًا اشْـتَدَّ عليه الْبردُ فأصـاب نَاراً فَدَنَـا ليصْطليَ منها وهو يقول: اللهمَّ لا تَحرِمْنيها في الدُّنْيَا وَالْآخِرَة !!

انظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ص: ٥٧٨ و ٦٤٧)، ومقامات الحريري (ص: ٣٦٠).

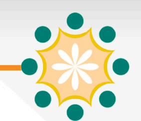
- ٢ -

وقد تمايَزَ الشعراءُ في نظرتهم للشتاء وما يتطلّبُه من حوائج، تبعًا لاختلاف مداركهم، واختلافِ أحوالهم من حيثُ الغنى والفقر!

فكان الفقراءُ يخافون الشتاءَ أشدَّ الخوف؛ لما فيه من البرْدِ والصقيعِ، وشُحِّ الطعام والشراب، مع عدم ما يَدفع ذلك عنهم؛ لخَلَّتهم، وعَوَزِهم، وقِلّة حِيلتهم، **كما قال ابنُ سُكّرة:**

قيلَ: ما أعددتَ لِلبَرْ
دِ فقدْ جاءَ بشِدّهْ؟
قلتُ: دَرَّاعةَ عُرْيٍ
تَحتَها جُبّةُ رِعْدَهْ![1]

(١) يتيمة الدهر للثعالبي (٣/ ٢٩)، والبديع في نقد الشعر لابن منقذ (ص: ٤٥)، والحماسة المغربية للتادلي (٢/ ١٣٠١).

وقال عليُّ بنُ عبد الله بن سنان الطُّوسي:

هَجَمَ البردُ والشتاءُ ولا أمْـ
لِكُ إلّا رِوايةَ العَربيّهْ!

وقَميصًا لو هبّتِ الريحُ لم يَبْـ
ـقَ على عاتقيَّ منهُ بَقيّهْ

ويُقِلُّ الغَناءَ عني فنونُ الْـ
عِلمِ إنْ أعْصَفتْ شَمَالٌ عَرِيَّهْ[1]

وقال يحيى بنُ ذي الشامة المُعيطي - وتُنسب لأعرابيٍّ -:

جاءَ الشتاءُ وليسَ عِندي دِرهمُ
وبِمثلِ هذا قد يُصابُ المسلمُ

لَبِسَ العُلوجُ خُزُوزَها وفِراءَها
وكأنَّني بفِناءِ مَكةَ مُحرِمُ![2]

---

(١) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب للحموي (٤/ ١٧٧٩).

(٢) معجم الشعراء لابن المرزبان (ص: ٤٩٧)، وربيع الأبرار للزمخشري (١/ ١٤٣)، وغرر الخصائص الواضحة للوطواط (ص: ٣٩٦).

وصُودف أعرابيٌّ يتكفَّفُ **ويقول**:

جــاءَ الـشـتـاءُ ومَـسَّـنـا قَــرُّ
وأصـابـنـا فِي عَـيـشِـنـا ضُــرُّ
ضُــرٌّ وفــقــرٌ نــحــنُ بينهما
هــذا لَـعَـمْـرُ أبـيـكُـمُ الـشــرُّ![1]

وقال جَحْظةُ البرمكيُّ:

جـاء الشـتاءُ ومـا عِنـدي لـه وَرِقٌ
ممّـا وُهِبـتُ، ولا عِنـدي لـه خِلَعُ
كانـتْ فبدَّدهـا جُـودٌ وُلِعْـتُ بـهِ
وللمسـاكينِ أيضـًا بالنَّدى وَلَعُ![2]

إلـى غير ذلـك مما هو مَزبـورٌ في كتـب الأدب والتاريخ، فلا نُثقلُ به هذا الكُرّاسَ الوجيزَ!

أمّـا الأغنيـاءُ والمترَفُـونَ فكانوا يسـتمتعون بفصل الشـتاء؛

(١) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (٢/ ٥٧٦).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٥٩١).

لأنهم قد أعدّوا العُدَّةَ لاستقباله: بكافاتٍ! ومِيماتٍ! وراءاتٍ! وجِيماتٍ! ... وغيرِها، كما سيأتي[(١)].

- ٣ -

أمّا العلماءُ وطلّابُ العلم فلهم مع الشتاءِ شأنٌ آخَرُ!

فلسانُ حالهم معه ما قاله أبو هلالٍ العسكريُّ في قصيدةٍ له

---

(١) وحتى الحيواناتُ فقد استنطقها الأدباءُ لمعرفة استعدادها للشتاء!
ففي المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي (٢/ ٥٤٦): «قال أبو زيد:
قيل للعَنْز: ما أعددتِ للشتاء؟ قالت: الذَّنَبُ ألْوَى، والاسْتُ جَهْوَى!
وقيل للضَّأن: ما أعددتِ للشتاء؟ قالت: أُجَزُّ جُفالاً، وأُوَلَّد رُخالاً، وأُحْلَبُ كُثَبًا ثِقَالاً، ولنْ تَرى مثلِيَ مالاً!
الجَهْوَى: المَكْشوفة.
وقيل للحِمار: ما أعددتَ للشتاء؟ قال: جَبهةً كالصَّلاءَة، وذَنَبًا كالوَتَرَة.
وفي «أمالي ثعلب»: تقول العربُ: قيل للحِمار: ما أعددتَ للشتاء؟ فقال: حافراً كالظُّرَر، وجبهةً كالحَجَر.
الظُّرَرُ: الحجارةُ.
وقيل للكلب: ما أعددتَ للشتاء؟ فقال: أَلْوِي ذَنَبي، وأرْبِضُ عند بابِ أهلي.
وقيل للمِعْزى: ما أعددتِ للشتاء؟ فقالت: العَظمُ دِقَاق، والجِلدُ رِقَاق، واسْتٌ جَهْوى، وذَنَبٌ ألْوَى، فأينَ المأْوَى؟!».

يفضِّل فيها الشتاءَ على غيره من الأزمنة[1]:

فَتَرَتْ صَبْوتي وأقْصَرَ شَجْوِي
وأتاني السُّرورُ مِن كلِّ نَحْوِ

إنّ رَوْحَ الشتاءِ خَلَّصَ رُوحِي
مِن حَرُورٍ تَشْوِي الوُجُوهَ وتَكْوِي

إلى أنْ قال – وهو شاهدُنا هنا –:

ولَيالٍ أطلْنَ مُدّةَ دَرْسِي
مِثلما قدْ مَدَدْنَ في عُمْرِ لَهْوِي

مَرَّ لي بعضُها بفِقهٍ، وبعضٌ
بينَ شِعرٍ أخذْتُ فيهِ ونَحْوِ

وحديثٍ كأنَّه عِقدُ رَيَّا
بِتُّ أرويهِ للرجالِ وتَرْوِي

في حديثِ الرِّجالِ رَوضةُ أُنسٍ
باتَ يُرعَى بأهلِ نُبْلٍ وسَرْوِ

(١) انظرها بتمامها في إرشاد الأريب (٢/ ٩٢١).

وقال العلّامةُ محمدُ بنُ محمد الزَّبيدي:

إذا ضَـمّ قَطْـرُ الجَـوِّ عنّـا مَعاشَـنا
وهَـبَّـتْ رِيــاحٌ بالـعَـشيّةِ بــارِدَهْ

قَصَرْتُ على كافِ الكِتابِ مُطالِعًا
ومُقتبِســًا منـهُ فوائـدَ شـارِدَهْ[1]

كما كان السـيوطيُّ يُفضِّل الشـتاءَ على الصيـف؛ ولعلَّ ذلك لسهره فيه على إنجاز مؤلفاته التي نيَّفتْ على الألف!! فمن ذلك قولُه:

يـا مَـنْ لـديـهِ الـصيـفُ ذُو رِفـعـةٍ
على الشِّـتا مـا أنتَ لي مِـنْ صديقْ

أمـا تـرى تـصحـيـفَ هــذا: سَـنَا
والصيـفَ إنْ صحَّفتَـه فَهْـوَ ضِيقْ!

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للبيطار (ص: ١٥١٢).

وقال أيضًا:

إنَّ الشِّتا خيرُ زمانٍ يُرَى
لِكلِّ حِبٍّ هُوَ ذُو هِمَّهْ
وهْوُ رَبيعُ المؤمنِ المُرتَضَى
عندَ رسولِ اللهِ ذِيْ الحِكْمَهْ[1]

-٤-

وبينا أنا أُقلِّبُ صحائفَ الأسفار والدواوين، لم يَرُعْني إلّا ذانِك البيتانِ اللَّذانِ افْترَعَهُما بعضُ الأدباء، ممّا عُرِفَ مَشمولُهما فيما بعدُ بـ (كافاتِ الشّتاء)! ففررتُ منهما هَرَبًا لا ألوي على شيءٍ، وهما يَشتدَّانِ في أثَرِي ولسانُ حالِهما يصيحُ: عُدْ إلينا؛ فلن تَجدَ أمثلَ مِنّا!

---

(١) يُشير السيوطيُّ إلى حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «الشِّتَاءُ رَبِيعُ الْمُؤْمِنِ» أخرجه أحمد في المسند ط الرسالة (١٨/ ٢٤٥ ح ١١٧١٦) وغيرُه، لكنه حديثٌ ضعيفٌ؛ لأنه من طريق دَرَّاج بن سمعان أبي السمح، عن أبي الهَيثم. ودرَّاجٌ ضعيفٌ، وروايته عن أبي الهَيثم فيها كلامٌ.

فرجَعتُ بعدَ تَردُّد، وتَقهْقرْتُ بعدَ تمرُّد! فلمَّا تأمّلتُهما، وجدتُهما العُمدةَ في هذا الباب، والغايةَ لمن تَغَيَّا الآداب!

والبيتانِ من مُولَّداتِ ابنِ سُكَّرة [١]، عليه الرحمةُ والمغفرة! قالهما للمفاكهة والإمتاع، وما دَرَى أنهما سيسيرانِ مَسيرَ الشمس في شتّى الأصقاع! فقد تناقلهما الأدباء، وجاراهما الشعراء، وعارضهما البُلَغاء.

وحسبُك أنْ تعلمَ أنَّ الإمامَ الحريريَّ لم يستشهدْ في مقاماته الباذِخة بشيءٍ من شعرِ غيرِه، سوى بأربعة أبياتٍ فحسْب، منها هذان البيتان التوأمان! [٢].

لذا رأيتُ أنْ أقتصرَ عليهما، وأُديرَ حولَهما هذه الأوراق [٣]،

---

(١) ستأتي ترجمته بعدُ.

(٢) **قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة مقاماته** (ص: ١٢): «ولمْ أُودِعْهُ منَ الأشْعارِ الأجْنبيّةِ إلا بيْتَينِ فَذَّيْنِ أَسّسْتُ علَيْهِما بُنْيَةَ المَقامَةِ الحُلْوانيّةِ. وآخَرَيْنِ توأمَيْنِ ضمّنْتُهُما خَواتِمَ المَقامَةِ الكرَجيّةِ. وما عدا ذلِك فخاطِري أبو عُذْرِه. ومُقْتَضِبُ حُلْوِهِ ومُرِّهِ».

(٣) **إضاءة:** إفرادُ بعضِ الأبياتِ المشهورةِ بالشرح والبيان في مصنَّفٍ مستقلٍّ كثيرٌ جدًّا في تراثنا.
=

قائـلاً لِلَّائم المتعجِّل، واللَّائِبِ المتطفِّل، ما قاله عمرو بنُ كُلثومٍ التغلبيُّ في مُعلَّقته:

أبـا هِـنـدٍ فَـلا تَـعْـجَـلْ عَلَـينَا
وأَنْـظِـرْنـا نُـخـبِّـرْكَ الـيَـقِـينَـا!

- ٥ -

وبَعدُ؛

فدُونكَ هذا العِلْقَ الفَريدَ الأسْنَى، الذي جمعتُ فيه شَتَاتَ ما

= **فمن ذلك:**

- كتابُ «**شرح بيتٍ من شعر ابن رزيّك**» في عشرين كرّاسة، لسعيد بن المبارك بن علي ناصح الدّين بن الدّهان النحويّ (ت ٥٦٩ هـ).
- كتابُ «**الشرحُ الجليّ على بيتيْ الموصليّ**»: لأحمد بن عبد اللطيف البربير الحسني (ت ١٢٢٦ هـ). وهو كتابٌ كبيرٌ، وقد طُبع مرتين.
- كتاب : «**ثالثُ القمَرين على بيتيْ الرقمتين**»: لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن محمد السيوطي (ت ١٣٤٢ هـ).
- ولعمـر بن محمد البكري اليافي (ت ١٢٣٣ هـ) مؤلفاتٌ عدةٌ في هذا، منها: «**شـرح بيت: وما كنـتُ أدري قبل عزّة ما البُكا**». انظـر ترجمته في الأعلام (٥/ ٦٤).

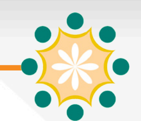
تَفـرّقَ في هذا المعْنَى، وذكرتُ فيه مـن اللطائفِ ما يُحقّقُ الدِّفْءَ لمن به يُعْنَى!

بَيْدَ أني أرى أن لَّا تقرأَه إلا وأنتَ مَقْرورٌ من البَرْد، فقد جعلتُ فُصولَه ســابغاتٍ فقَدِّرْ في السَّرْد، واقرأْه قراءةَ تأمُّلٍ لا قراءةَ جَرْد؛ وذلـك كيمـا تستشـعرَ معـانيَ الكتاب، وتتـذوّقَ ما فيـه من لذيذِ الخطاب!

«ولَئِـن خَالَـطَ هذا القـولَ هَوى النَفْـس، أو ظـنَّ المغالاةَ به صادقُ الحَدْس:

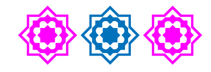
فــالــمــرْءُ مَـفـتــونٌ بِـتـألـيـفِـهِ
ونَـفـسُــهُ في مَــدْحــهِ غَــاوِيَــهْ!
وَالـفـضـلُ مِــنْ نــاظِـره أنْ يَـرى
مــا قــد حَــوى بالـمُـقْلـةِ الراضِيَـهْ
وَإِنْ يــَجِـدْ عيبًا يَـكـنْ ساتـراً
عَـــوَارَهُ بالـمِنَّـةِ الْـوافِـيَـــهْ»[1]

(١) معاهد التنصيص للعباسي (١/ ٣).

واللهُ الموفِّقُ للرشاد، الهادي مَعالمَ السَّداد.

وكتبَ/ المُتَدَثِّرُ بِمُرُوطِ أفنانِ الأدَبْ، المُتزمِّلُ بِجلبابِ آدابِ العرَبْ: أبو الفضلِ أحمدُ بنُ عليٍّ القَرْنيُّ المَدينيُّ، صِينَ عَنْ سَهْمِ الوَهْمْ، ولَا شِينَ بِسُوءِ الفَهْمْ . في طابةَ المَحْرُوسَة، شِتَاءَ عامِ ١٤٤٢هـ.



فَصْلٌ

في ذِكْرِ كافاتِ ابنِ سُكّرة ورِواياتِها

قبلَ أن نخوضَ غِمارَ ذِكرِ كافاتِ ابن سُكّرة وشرحِ ألفاظِها، نبدأ أولاً بترجمةٍ مُوجزةٍ لناظمها.

فابنُ سُكَّرة: هو محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي، أبو الحسن، المعروف بابن سُكَّرة، من ولد علي بن المهدي العباسي، من أهل بغداد.

وهو شاعرٌ كبيرٌ، فائقُ النظمِ، حسنُ السبكِ، رائقُ الديباجةِ، بديعُ التشبيهاتِ.

له ديوانُ شعرٍ في أربعةِ مجلداتٍ يُرْبي على خمسينَ ألف بيتٍ!

قال عنه الثعالبيُّ: «شاعرٌ مُتّسعُ الباع في أنواع الإبداع، فائقٌ في قول المُلَح والظَّرْف، أحدُ الفحول الأفراد، جارٍ في ميدان المُجون والسُّخْف ما أراد! وكان يُقال ببغداد: إنّ زمانًا جادَ

بابنِ سكّرة وابنِ الحجّاج لسَخيٌّ جداً! وما أُشبّهُهما إلا بجريرٍ والفرزدق في عَصْريْهما»[1].

ومِن لطيفِ ما يُحكى عنه، أنه كان ينوبُ في نقابة الهاشميّين، فترافعَ إليه رجلٌ اسمُه: عليّ، وامرأةٌ اسمُها: عائشة، يتحاكمان في جَمَل، فقال: هذه قضيةٌ لا أحكمُ فيها بشيءٍ؛ لئلّا يعودَ الحالُ خُدْعةً!

ومن بديع شِعره ما قاله في غلامٍ رآه وفي يده غُصْنٌ وعليه زهرٌ:

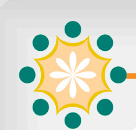
غُصْنُ بانٍ بَدا وفي اليَدِ منه
غُصُنٌ فيه لُؤلؤٌ منظومُ
فتحيّرتُ بين غُصْنيْن، في ذا
قمرٌ طالعٌ، وفي ذا نجومُ!

وقال أيضًا:

فِي وجهِ إنسانةٍ كَلِفْتُ بها
أربعةٌ ما اجتمعنَ في أحَدِ

---

(١) يتيمة الدهر (٣/ ٣).




الـوَجـهُ بَـدرٌ، والـصُّـدْغُ غاليةٌ
والرِّيـقُ خَمـرٌ، والثَّغْـرُ مِـن بَـرَدِ!

وقال أيضًا:

تـرى الـثُّريّا والـغَـرْبُ يَجذِبُها
والـبـدرُ يَسـري، والفجرُ يَنفجِرُ
كَـفَّ عــروسٍ لاحَـتْ خواتمُها
أو عِـقْـدَ دُرٍّ في الـجَـوّ يَـنتثرُ!

ودخـل يومـًا حمّامـًا، فسُـرق نعلُـه، فعاد إلى منزلـه حافيـًا، وقال:

إِلَـيْـكَ أَذُمُّ حَـمَّـامَ ابْـنِ مُـوسَـى
وَإِنْ فَـاقَ الـمُنى طِـيبًا وَحَـرَّا
تَكَاثَـرَتِ اللُّصُـوصُ عَلَيْـهِ حَتَّـى
لَيَحْفَـى مَـنْ يُطِـيفُ بِـهِ وَيَعْـرَى
وَلَــمْ أَفْـقِـدْ بِــهِ ثَـوْبًـا وَلَـكِـنْ
دَخَلْـتُ مُحَمَّدًا، وَخَرَجْتُ بِشْـرًا!

يُشيرُ بقوله: «وخرجتُ بِشْراً» إلى بِشْر الحافي رحمه الله، الإمام الزاهد المعروف. وهذا المعنى لطيفٌ للغاية!

وقال أبو الحسن علي بن محمد بن الفتح المِلْحي البغدادي:

كتب إليّ ابنُ سُكّرة الهاشمي:

يا صديقًا أفادَنيهِ زمانٌ
فيه ضَنٌّ بالأصدقاءِ وشُحُّ

بين شَخْصي وبين شَخْصِك بُعْدٌ
غيرَ أنّ الخيالَ بالوصْلِ سَمْحُ

إنما أوجبَ التباعدَ منّا
أنني سُكَّرٌ وأنكَ مِلْحُ!

وهذا بديعٌ جدًّا؛ لأنَّ الرجلَ يُعرف بالمِلْحي والقائلُ هو ابنُ سُكّرة!

هذا بإيجازٍ بعضٌ من خبرِه، والله تعالى أعلم[1].

(١) انظر ترجمتَه في: يتيمة الدهر (٣/ ٣)، وتاريخ بغداد للخطيب (٥/ ٤٦٥)، والمنتظم لابن الجوزي (٧/ ١٨٦)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٤١٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٦/ ٥٢٢)، ومرآة الجنان لليافعي (٢/ ٣٢١)، والوافي بالوفيات للصفدي (٣/ ٣٠٨)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٥/ ٤٦٤)، وشذرات الذهب لابن العماد (٣/ ١١٧).

أمّا كافاتُه[1] فهي قولُه في الشِّتاء:

(١) جاء في تاج العروس للزبيدي (٢٤/ ٣٤٦): جمعُ (الكافِ) أَكْوافٌ على التَّذْكِيرِ، وكافاتٌ على التَّأْنِيثِ، ومِن الأخِيرِ قَوْلُهم: كافاتُ الشّتاءِ سَبْعٌ.

لطيفةٌ: حُكي أنّ المأمونَ قال لبعض أصحابه: كم في البَدَن من كافٍ؟ فإن أتممتَ عشرةً فلك عشرةُ آلاف درهم!

فقال نعم: خُذْ بكفّك: كُوعٌ، وكُرْسُوعٌ (عظمٌ ناتِىءٌ عند الرُّسْغ من طرف الزَّند مما يلي الخنصر)، وكاهِلٌ (أعلى الظهر ما بين الكتفين)، وكفٌّ، وكَبِدٌ، وكَتِدٌ (مجتَمَع ما بين الكتفين)، وكَتِفٌ، وكِلْيَةٌ، وكَعْبٌ، وكَرْشٌ.

فقال: أخطأتَ لا أمَّ لك، لا كَرْشَ لابن آدم!

فأطرق ثم رفع رأسه وقال: يا أمير المؤمنين، إنما هِبتُكَ وأجللتُكَ، خُذْ بكفِّك: كَمَرَةٌ (حَشَفَةَ الذَّكَر)، فهي تمام العشرة!

فقال: لعنك الله! ليتني ما غيّرتُ عليك، وأعطاه المال!

وقد نظمها الشيخُ محمد بن علي بن آدم الإتيوبي رحمه الله بقوله:

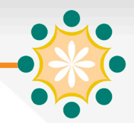
وَجَاءَ فِي الإِنْسَانِ عَشْرٌ تُبْتَدَا ... أَوَّلُهَا بِالْكَافِ نِلْتَ الرَّشَدَا
كُوعٌ، وَكُرْسُوعٌ، وَكَفٌّ، وَكَتِفْ ... وَكَتِدٌ، وَكَاهِلٌ، مِنْهَا عُرِفْ
وَكُلْيَةٌ، كَعْبٌ، وَكَبْدٌ، كَمَرَهْ ... قَرَّبْتُهَا نَظْمًا لِقَوْمٍ بَرَرَهْ

وقال آخرُ:

إنْ قلتَ: كم في الفتى عُضوٌ بأولِه ... كافٌ؟ فَخُذْهنَّ عَدّاً يبلغُ العَشَرَهْ
كَفٌّ، وكعبٌ، وكَشْحٌ، كاهلٌ، كَتِفٌ ... كُوعٌ، كُلًى، كَبِدٌ، كُرسوعٌ، الكَمَرَهْ

انظر: سهم الألحاظ في وهم الألفاظ لابن الحنبلي (ص: ٢٧)، والبحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج للإتيوبي (٨/ ٤٦٠) بتصرفٍ وتصحيحٍ.



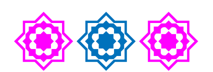


جَـاءَ الشِّـتَاءُ وَعِنْدِي مِـنْ حَوَائِجِهِ
سَـبْعٌ، إِذَا القَطْرُ عَنْ حَاجَاتِنَا حَبَسَا
كِـنٌّ، وَكِيْسٌ، وَكَانُونٌ، وَكَأْسُ طِلاً
بَعْـدَ الكَبَابِ، وَكَفٌّ نَاعِمٌ، وَكِسَـا

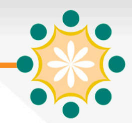
هذا هو المشـهورُ أنهما بيتـانِ فقط، وهناك روايـةٌ أخرى أنها أربعةُ أبياتٍ، ذكرها تاجُ الدين محمدُ بنُ عبد الرحمن الخُراساني الفَنْجَدِيهِي (ت ٥٨٤ هـ)[١].

والبيتانِ من البحرِ البسيطِ التامِّ.

وسـيأتي ذِكرُ الاختـلافِ في بعـضِ ألفاظِها في الفصـلِ التالي بحولِ اللهِ.



(١) نقلها عنه الشريشيُّ في شـرح مقامات الحريري (٣/ ٤١)، فانظرْها ثمتَ إن شئتَ.





فصلٌ

في شَرحِ بيتيْ ابنِ سُكَّرة

سوف نشـرحُ في هذا الفصل بإيجازٍ معانيَ بعضِ الكلماتِ في أبياتِ ابن سُكَّرة.

قولُه: (جَاءَ الشِّـتَاءُ) الشـتاءُ: هو أحدُ فصول السـنة الأربعة، وهي: الصيفُ، والخريفُ، والشتاءُ، والربيعُ.

قـال عنـه القلقشـندي: «هو أحـدٌ وتسـعون يومـًا وربـعُ يومٍ ونصفُ ثمنِ يومٍ.

ودخولُـه عند حلول الشـمس رأسَ الجَدْي؛ وذلك في الثامن عشر من كِيَهْك[1]، وإذا بقي من كانون الأول ثمانيةُ أيام.

---

(١) **كِيَهْـك:** هو الشَّـهرُ الرّابعُ من شـهور السَّـنة القِبْطيَّة، يأتي بعـد هاتُور، ويليه طُوبَة.

انظر: كشـاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانـوي (١/ ٣٦٧)، ومعجم اللغـة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر وفريقه (٣/ ١٩٨٢)، والمعجم الوسيط (٢/ ٨٠٨).

وآخرُه إذا أتت الشمسُ على آخر درجةٍ من الحُوت، فيكون له من البروج: الجَديُ والدّلوُ والحُوتُ؛ وهذه البروجُ تدلّ على السكون.

والطالِعُ فيه مع الفجر: سعدُ الذابح، وسعدُ بُلَع، وسعدُ السُّعود، وسعدُ الأخبية، والفرغُ المقدّم والفرغُ المؤخَّر، والرّشاء.

فيه تهبُّ رياحُ الدَّبُور؛ وهو باردٌ رطبٌ، فيه يهيج البلغم، وتضعف قُوى الأبدان. له من السنّ الشّيخوخةُ، ومن القوى البدنيّة القوةُ الدافعةُ.

وفيه يشتدّ البردُ، ويخشُن الهواءُ، ويتساقط ورقُ الشّجر، وتَنْجَحِر الحيّاتُ، وتكثر الأنواءُ، ويُظلم الجوُّ، وتصير الأرضُ كأنها عجوزٌ هَرِمةٌ قد دنا منها الموتُ!

وله من الكواكب: المشتري وعطارد، ومن الساعات: العاشرة والحادية عشرة.

ويقال: إذا حلّت الشمسُ الجدْيَ، مَدَّ الشّتاءُ رُواقَه، وحَلَّ نِطاقَه. ودبّتْ عقاربُ البردِ لاسِبَه، ونفعَ مُدَّخَرُ الكَسبِ كاسِبَه!»(١).

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا (٢/ ٤١١).

قولُه: (حَوائِجِـه) الحوائجُ جمعُ حائجـةٍ، والحائجةُ: هي ما يفتقر إليه الإنسـان ويطلبه. والحائـجُ: الـمُفْتقرُ. ويقال: احتاج له وإليه أي مالَ وانعطف.

والحائجةُ والحاجةُ بمعنىً واحدٍ، وجمعُ حاجةٍ: حاجٍ وحاجاتٌ.

قـال أبو الْهَيْثَم: الحاجَةُ فِي كَلَام الْعَرَب الأَصْلُ فِيهَا حائجةٌ، حذفوا مِنْهَا الْيَـاء، فلمَّا جمعوها ردّوا إِلَيْهَا مَا حذفوا مِنْهَا فَقَالُوا: حَاجَـة وحوائج، فدلّ جمعُهم إِيَّاهَا على حوائج أَن الْيَاء محذوفة من الْوَاحِدَة [(١)].

قولـه: (القَطْـرُ) القَطْرُ: هو ما قَطَر مـن الماء وغيره، واحدته: قَطْـرة. والجمـع قِطَارٌ. وسـحابٌ قَطُـورٌ ومِقْطارٌ: كثيـرُ القَطْر، حكاهمـا الفارسـيُّ عن ثعلب. وأرضٌ مقطـورةٌ: أصابها القَطْر. والمرادُ بالقَطْر هنا المطَرُ [(٢)].

---

(١) انظـر: تهذيب اللغة للأزهـري (٥/ ٨٧)، والقاموس المحيط (ص: ١٨٥)، والمعجم الوسيط (١/ ٢٠٤).

(٢) انظـر: المحكـم والمحيـط الأعظـم لابـن سـيده (٦/ ٢٦٥)، والصحـاح للجوهري (٢/ ٧٩٥)، والقاموس المحيط (ص: ٥٩٦).




قوله: (عَنْ حَاجَاتِنا حَبَسَا) فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديرُه: إذا حَبَسَ القَطْرُ عن حاجاتنا، أيْ منعنا من الخروج لقضاءِ حوائجِنا.

قوله: (كِنٌّ) الكِنُّ: هو وِقاءُ كلِّ شيءٍ وسِتْرُهُ. جمعه: أَكْنَانٌ وأَكِنَّةٌ. وكَنَّهُ كَنًّا وكُنُونًا وأَكَنَّهُ وكَنَّنَهُ واكْتَنَّهُ: سَتَرَهُ. واسْتَكَنَّ: اسْتَتَرَ كاكْتَنَّ[1].

قوله: (وكِيسٌ) المرادُ بالكِيس هنا الوعاءُ الذي تُحفظُ فيه النقود، يُتّخذ من القماش والجلد ونحوها.

قال الفيروزُ آبادي: «الكِيسُ بالكسر: للدَّرَاهِمِ لأنه يَجْمَعُهَا ج: أَكْيَاسٌ وكِيَسَةٌ»[2].

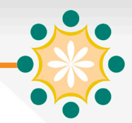
قوله: (وكَانُونٌ) الكَانُونُ: هو المَوْقِدُ الذي يُصْطَلَى بناره؛ طَلَبًا للدِّفْء. كأنَّ النّار اكتنّتْ فيه، أي استترتْ[3].

---

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٦٦٢)، والقاموس المحيط (ص: ١٥٨٤)، وتاج العروس للزبيدي (٣٦/ ٦٣).

(٢) القاموس المحيط (ص: ٧٣٨).

(٣) انظر: المخصص لابن سيده (٤/ ٣٩)، وتاج العروس (٣٦/ ٦٧).

قوله: (وكأسُ طِلاً) الكأسُ معروفٌ.

وأمّا الطِّلَا فهي بألفٍ ممدودةٌ (الطِّلاء)، وإنما حُذفتْ همزتُها ههنا من أجل الوزن.

وهذا من الضرورات الشعرية الجائزة عند أهل البلاغة والأدب، بخلاف مدّ المقصور؛ فإنه لا يجوز عندهم.

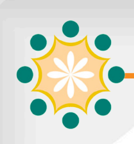
قال ابنُ قتيبة: «قد يضطرّ الشاعر فيقصر الممدود، وليس له أن يمدّ المقصور»(١).

وقال الجاحظُ: «قَصرُ الممدود أحسنُ من مدّ المقصور»(٢).

وقال ابنُ المرزبان: «قصر الممدود؛ يجوز في الشعر؛ ولا يجوز أن يُمدّ المقصور؛ لأنه خروجٌ عن الأصل، وقصرُ الممدود هو ردّ الشيء إلى أصله» (٣).

وقال المعافى بنُ زكريا: «كان نحاةُ البصرة من متقدِّميهم

(١) الشعر والشعراء (١/ ١٠٢).
(٢) الحيوان (٦/ ٥٣١).
(٣) الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء (ص: ١٢٢).




ومتأخِّريهم لا يجيزون مدّ المقصور في شعر ولا نثرٍ، إلا الأخفشُ فإنه كان يجيزه في الشعر، وهو مذهبُ متقدِّمي نحاة الكوفيين، وكان الفرّاءُ يُجيزه في بعض الوجوه ويأباه في بعضها، فأما قصرُ الممدود في الشعر فجائزٌ عند جميع النحويين»[(١)].

أما معنى الطِّلا فقال الجوهري: «الطِّلاء: ما طُبِخ من عصير العنب حتَّى ذهب ثُلثاه، وتُسمِّيه العَجَمُ الـمَيْبَخْتَج. وبعضُ العرب يُسمِّي الخمرَ الطِلاءَ، يريد بذلك تحسينَ اسمها، لا أنَّها الطِلاءُ بعينها. قال عَبيدُ بنُ الأبرص للمنذر بن ماء السماء حين أراد قتلَه:

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي (ص: ١٠٠).

وانظر: الكامل للمبرد (٣/ ١٢٧) وما يجوز للشاعر في الضرورة للقزّاز (ص: ٢١٦)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص: ٢٢٨) والعمدة في محاسن الشعر لابن رشيق (٢/ ٢٦٩)، وضرائر الشعر لابن عصفور (ص: ١١٦).

تنوير: قال ابنُ عبد ربه: «لم أجد أحداً من السلف يذمّ الإيجاز ويقدح فيه، ولا يعيبه ويطعن عليه، وتحب العربُ التخفيفَ والحذفَ. ولهربها من التثقيل والتطويل **كان قصرُ الممدود أحبَّ إليها من مدّ المقصور**، وتسكينُ المتحرِّك أخفَّ عليها من تحريك الساكن؛ لأنَّ الحركةَ عملٌ والسكونَ راحةٌ!» العقد الفريد (٤/ ٢٣٨).

وقالـوا: هيَ الخَمْـرُ تُكْنَـى الطِّلاءَ
كمـا الذئـبُ يُكْنـى أبـا جَعْـدَهْ[(١)]

ضربـه مثلاً، أي تُظهر لـيَ الإكرامَ وأنتَ تريـد قتلي! كما أنَّ الذئـبَ وإن كانت كنيتُه حسـنةً فإنَّ عملَه ليس بحسـن! وكذلك الخمرُ وإن سُمّيت طِلاءً وحَسُنَ اسمُها فإنّ عملها قبيحٌ»[(٢)].

قولـه: (بعْـدَ الكَبابِ) هو لـونٌ من ألوان اللحم المشْـوي، كان يُسمَّى عند المتقدّمين: الطباهِجَة، مُعَرَّبُ: تَباهَه، وأصلُه فارسيٌّ[(٣)].

---

(١) ورد هذا البيتُ في جمهرة اللغة لابن دريد (١/ ٤٤٨) هكذا:
هِـيَ الْخمـر تُدعـى الطِّـلا كَـمَـا الـذِّئب يُكْنـى أَبَـا جعده
قال ابنُ دُريد: «هكذا تُكلِّم بهذا البيت، وهو غيرُ مُسْتَقِيم الْوَزْن، وهو نَاقصٌ، وكذا يُرْوى».
قلتُ: لكنه في رواية «الصحاح» مستقيمٌ كما رأيتَ، بشرط أن يقال: أبا جَعْدةِ بالتـاء المكسـورة، لا بالهاء السـاكنة. أو أن تُنطقُ كلمةُ (جَعَـدَهْ) بحَرَكَات. والله أعلم.
(٢) الصحاح (٦/ ٢٤١٤). **وانظر**: لسان العرب لابن منظور (٣/ ١٢٣).
(٣) **انظـر**: المخصـص لابـن سـيده (١/ ٤١٨) ولسـان العـرب لابـن منظور (١/ ٦٩٧) و(٢/ ٣١٧)، والقاموس المحيط (ص: ١٩٧).




وقال الزمخشـريُّ: «كَبَّبُوا اللحـمَ تكْبيبـًا، من الكباب: وهو اللحم يُكبّ على الجمر: يُلقى عليه»[(١)].

وقال الشَّريشِـي: وقيل: الكبـاب: قِطَع الكَـرْش تُلوى عليها المصارين[(٢)].

وجـاء في «المنظومـة الشـقرونيّة»: للطبيـب ابـن شـقرون المكناسي:

خيرُ الشِّواءِ ما على الجَمْرِ شُوِيْ
بـلا دُخـانٍ، في قَضِـيـبٍ يَلْـتَوِيْ
يَـفـتـحُ لـلـصِّـحّـة ألــفَ بـابِ
وهـو الـذي يُـعـرَفُ بـالـكَبَابِ!

قولـه: (وكَفٌّ نَاعِمٌ) الكَفُّ: اسـمٌ للراحة مع الأصابع. وهي مؤنّثـةٌ على الأشـهر، وتذكيرُهـا - كما هنا - غلـطٌ أو قليلٌ جدًّا.

سُمّيت بذلك؛ لأنها تَكُفّ الأذى عن البدن: أي تدفعه[(٣)].

---

(١) أساس البلاغة (٢/ ١١٧).

(٢) شرح مقامات الحريري (٣/ ٤١).

(٣) **انظـر:** المذكّـر والمؤنّث لابن الأنبـاري (١/ ٣٦١)، والمذكّـر والمؤنّث=

وقد اختلفتْ المصادرُ في حِكايةِ هذه الكلمةِ، هل هي بالكافِ المفتوحةِ والفاءِ المشدَّدة؟[(١)]، أمْ بالكافِ المفتوحةِ والسينِ المشدَّدة ؟[(٢)]، أمْ بالكافِ المضمومةِ والسين المشدَّدة؟[(٣)]،

= للتستري (ص: ١٠٠)، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص: ٢٨٢)، والمصباح المنير للفيومي (٢/ ٥٣٦).

(١) كما في بعض طبعات مقامات الحريري - ومنها طبعة دار بيروت للطباعة والنشر (ص: ٢٠٤)، وهي من الطبعات المتقنة للمقامات -، وكتاب مجاني الأدب في حدائق العرب لرزق الله شيخو (٦/ ١٣٥).
- وقد ذكرنا معناها في المتن.

(٢) كما في طبعة خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي - بتحقيق د. كوكب دياب - (٢/ ٦٨).
- وقد فسّرتْها المحقّقةُ في الحاشية بأنها الكَسيسُ، وهو السُكّرُ وما يُجفّف من اللحم والحبوب ثم يُدقُّ! وفيه بُعْدٌ.

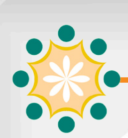
(٣) كما في يتيمة الدهر للثعالبي (٣/ ٣)، وسهم الألحاظ لابن الحنبلي (ص:٢٧)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٤١٣)، والوافي بالوفيات للصفدي (١/ ٤٢٣)، والإيضاح للقزويني (ص:٣٨٩)، وأنوار الربيع لابن معصوم (١/ ٣٣٤)، وشرح مقامات الحريري للشريشي (٣/ ٤١)، والدر الفريد للمستعصمي (٦/ ٨)، وتزيين الأسواق للأنطاكي (٢/ ٢٦٣)، وشذرات الذهب لابن العماد (٤/ ٤٥٦)، وما يُعوّل عليه في المضاف والمضاف إليه للمحبّي (٣/ ١٤٧٤)، وفي بعض طبعات مقامات الحريري. =

والأخيرُ هو الأكثرُ والأشهرُ.

والناعِمُ: اللّيِّنُ.

قولـه: (وكِسَـا) يُحتَمل أنه بكسـر الكاف - وهـو الأقرب - فيكـون أصلُه كِسَـاء بالمدّ، وهـو اللباس، وجمعه: أكسـية. وقد سبق أن قدّمنا أن قصرَ الممدودِ جائزٌ.

= وهي على هذه الرواية اسمٌ لفرج المرأة.
وهـي كلمةٌ موَلَّدةٌ، وقيل: فارسـيةٌ معرَّبةٌ. وقيل: عربيـةٌ صحيحةٌ. والراجحُ الأولُ.
انظـر: القامـوس المحيط (ص: ٥٧٠)، وسـهم الألحـاظ في وهم الألفاظ لابن الحنبلي (ص: ٢٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٥٥٦)، والمزهر للسيوطي (١/ ٢٤٧)، وشرح مقامات الحريري للشريشي (٣/ ٤١)، وتاج العروس للزبيدي (١٦/ ٤٤٤).
ولا حَرَجَ في استعمال الشـاعر هـذه الكلمة، فقـد ورد اسـتعمالُ نظائرَ لها في طائفـةٍ مـن الأحاديث والآثـار وكلام العلمـاء. **انظر**: صحيـح البخاري (٧/ ١٠٦ ح ٥٥٩٠)، وعيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ي)، ورسائل الجاحظ (٢/ ٩١)، وروضـة المحبيـن لابن القيـم (٧٧ - ٨٩)، وفتـح الباري لابن حجر (١٠/ ٥٥).
لكنْ كان الأَوْلى أنْ يستبدلَـها بكلمة (كاعبٍ) أو ما شابهها.




ويُحتمَل أن يكون بضمّ الكاف (كُسَا) مقصوراً، فيكون جمع كِسْوَة، وهو الثوب يُستتر به ويُتحلَّى[1].

والله أعلم.



(١) انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٧٨٨).




فصلٌ

في أنواعِ البلاغةِ التي في بَيتيْ ابنِ سُكَّرة

اشتمل بيتا ابنِ سُـكّرة على ثلاثة أنواعٍ من أنواع علم البديع، ألا وهي:

١ - اللَّفُّ والنشرُ.

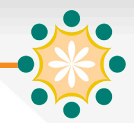
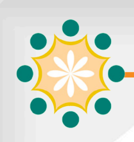
٢ - والجمعُ والتقسيمُ.

٣ - والتلميحُ.

أما النوعُ الأولُ: وهو اللّفّ والنشرُ - ويسمّيه بعضُ البديعيّين الطـيّ والنشـر -: فهو ذِكْرُ متعدِّدٍ على التفصيـل أو الإجمال، ثم ذِكْرُ ما لكلّ واحدٍ من غير تعيينٍ، ثقةً بأنّ السامع يردُّه إليه؛ لعلمه بذلك بالقرائن اللفظية أو المعنوية.

وهو قسمان:

الأول: ذِكر المتعدِّد على التفصيل، وهو ضَرْبان:

١ - **أحدهما**: أن يكون النشـرُ على ترتيـب اللفّ، بأن يكون الأولُ من المتعدّد في النشـر للأول مـن المتعدّد في اللفّ، والثاني للثـاني، وهكـذا إلى الآخر... وهـذا الضَّرْبُ هو الأكثـرُ في اللفّ والنشر والأشهرُ.

ومن شواهد هذا الضَّرْب بين اثنين قولُه تعالى: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣]، فالسكونُ راجعٌ إلى الليل، والابتغاءُ من فضل الله راجعٌ إلى النهار على الترتيب.

ومن شواهده شِعراً قولُ الشاعر:

سـألـتُـه عــن قـومِـه فـانـثـنى
يَعجبُ من إسـرافِ دمعي السخِيْ
وأبصـرَ المسـكَ وبـدرَ الدُّجـى
فـقـال: ذا خـالـي وهــذا أخـيْ!

وقد افتنّ الشعراءُ في هذا النوع من اللفّ والنشر المفصّل المرتّب حتى بلغوا فيه إلى الجمع بين عشرةٍ وعشرةٍ، كقول بعضهم:

شَـعْرٌ جبيـنٌ مُـحيّـا مِعْطـفٌ كَفَلٌ
صَـدْغٌ فَـمٌ وَجَنَـاتٌ ناظِـرٌ ثَغْـرُ
لـيـلٌ صـبـاحٌ هِــلالٌ بـانـةٌ ونَـقَـا
آسٌ أقــاحٌ شقيقٌ نَـرجِـسٌ دُرُّ!

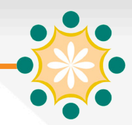
وحُسْـنُ هذا النوع من البديع يتمثّل في أن يكون اللفُّ والنشرُ في بيـتٍ واحـدٍ خالياً مـن الحشـو والتعقيد، جامعـًا بين سـهولة اللفظ والمعاني المختَرَعَة.

٢ - **والثـاني** مـن اللفّ والنشـر المفصّل: هو مـا يجيء على غير ترتيب اللفّ. ومن هـذا الضَّرْب ما يكون معكوسَ الترتيب، كقول ابن حيّوس:

كيفَ أسـلو وأنتَ حِقْـفٌ وغُصْنٌ
وغـزالٌ، لحظًا وقَـدّاً ورِدْفـا؟

فاللحظُ للغزال، والقَدُّ للغصن، والرِّدْفُ للحِقْف.

والقسـمُ الثاني من اللفّ والنشـر: مـا يكون ذكـرُ المتعدِّد فيه علـى الإجمال، نحـو قوله تعالـى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن

كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ [البقرة: ١١١]؛ فإنّ الضمير في (قالُوا) لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، فذُكر الفريقان على وجه الإجمال بالضمير العائد إليهما، ثم ذُكر ما لكلٍّ منهما، أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنةَ إلا من كان هوداً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنةَ إلا من كان نصارى. فلفَّ بين القولين إجمالًا؛ ثقةً بقدرة السامع على أن يَردَّ إلى كل فريقٍ قولَه، وأمْنًا من الالتباس؛ وذلك لعلمه بالتعادي بين الفريقين وتضليلِ كلِّ واحدٍ منهما لصاحبه؛ بدعوى أنّ داخلَ الجنةِ هو لا صاحبُه.

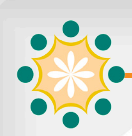
وهذا القسمُ من اللفّ والنشر لا يقتضي ترتيبًا أو عدمَ ترتيب، ويُسمى اللفُّ والنشرُ الـمُشَوَّش[١].

وبيتا ابن سُكَّرة من هذا الضَّرْب[٢]، والله أعلم.

---

(١) **انظر**: خزانة الأدب لابن حجّة الحموي - بتحقيق عصام شعيتو - (١/ ١٤٩)، ومفتاح العلوم للسكّاكي (ص: ٤٢٥)، والطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للحسيني (٢/ ٢١٢)، وعلم البديع لعبد العزيز عتيق (ص: ١٧٥).

(٢) **انظر**: خزانة الأدب لابن حجة الحموي - بتحقيق عصام شعيتو - (١/ ١٥٣).

والنوعُ الثاني: الجمعُ والتقسيمُ:

وهــو أن يجمعَ أموراً كثيرةً تحت حكمٍ، ثم يُقسِّــم بعد ذلك، أو يُقسِّم ثم يجمع.

مثالُ الأوّل: قولُ المتنبي:

حَتّــى أَقــامَ عَلى أَربــاضِ خَرْشَــنَةٍ
تَشــقى بِهِ الــرومُ وَالصُلبــانُ وَالبِيَعُ
لِلسَــبْيِ ما نَكَحوا، وَالقَتلِ ما وَلَدوا
وَالنَهبِ ما جَمَعوا، وَالنارِ ما زَرَعوا

فجمع في البيت الأوّل أرضَ العدوّ وما فيها من معنى الشقاوة، وذكر التقسيمَ في البيت الثاني.

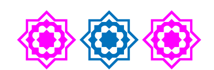
ومثالُ الثاني: قولُ حسّان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

قــومٌ إذا حاربــوا ضَــرُّوا عدوَّهــمُ
أو حاولوا النفعَ في أشــياعِهم نفَعُوا




سَـجيّةٌ تلـكَ منهـمْ غيـرُ مُحْدَثـةٍ
إنَّ الحوادثَ فاعلمْ شـرُّها البِدعُ[1]

وبيْتا ابنِ سُكّرة من القسم الأول.



والنوعُ الثالثُ: التلْمِيحُ:

قال الحُسيني: «وهو نوعٌ من أنواع البديع، له في البلاغة موقعٌ شريفٌ، ويحلُّ من الفصاحة في محلٍّ مرتفعٍ مُنيفٍ»[2].

والتلْميحُ: هو أن يُشـير ناظمُ هذا النوع في بيتٍ أو سـجعٍ إلى قصةٍ معلومةٍ، أو نكتةٍ مشـهورةٍ، أو بيتِ شعرٍ ذائعٍ، أو مَثَلٍ سائرٍ، يُجريه في كلامه على جهة التمثيل.

---

(١) **انظـر**: الإيضاح في علوم البلاغة للقزوينـي (ص: ٣٣٥)، وعروس الأفراح للسـبكي (٢/ ٢٥٣)، ونهايـة الأرب للنويـري (٧/ ١٥٤)، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح للصعيدي (٤/ ٦٠٥)، وجواهر البلاغة للهاشـمي (ص: ٣١٢).

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٣/ ٩٧).

وأحسنُ التلْميح وأبلغُه ما حصل به زيادةٌ في المعنى المقصود.

وسماه قومٌ: التمْلِيح بتقديم الميم، كأنّ الناظم أتى في بيته بنُكتةٍ زادتْه مَلاحةً(١).

وقد فتحَ بيتا ابنِ سُكَّرة البابَ على مِصْراعيْه لهذا النوع من البديع!

فمِن أحسنِ التلميحاتِ لبيتيْ ابنِ سُكَّرة:

- قولُ الحريري في المقامة (الكَرَجِيّة): «وإني واللهِ لَطالَما تلقّيتُ **الشّتاءَ بكافاتِه**. وأعدَدْتُ الأُهَبَ لهُ قبل مُوافاتِهِ .....

وقلتُ له: واللهِ لوْ لمْ أُوارِكَ. وأُغَطِّ على عَوارِكَ. لمَا وَصَلْتَ إلى صِلَةٍ. ولا انقلَبْتَ أكْسى منْ بصَلَةٍ. فجازِني عنْ إحساني إليْكَ. وسَتْري لكَ وعلَيْكَ. بأنْ تسمَحَ لي بردّ الفَروَةِ. أو تُعرّفَني **كافاتِ الشَّتْوَةِ** ....»(٢).

---

(١) انظر: عروس الأفراح للسبكي (٢/ ٣٣٨)، ونهاية الأرب للنويري (٧/ ١٢٧)، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح لعبد المتعال الصعيدي (٤/ ٧٠٠)، وعلم البديع لعبد العزيز عتيق (ص: ٣٩).

(٢) مقامات الحريري - ط دار بيروت - (ص: ٢٠١ و٢٠٣).

- وقال ابنُ معصوم: «قال الآخَرُ[1] - وفيه تلميحان -:

يقولـونَ: كافـاتُ الشـتاءِ كثيـرةٌ
وما هُـنّ إلا واحـدٌ غيـرُ مُفْتَـرَى
إذا صَحّ كافُ الكِيْسِ فالكُلُّ حاصِلٌ
لديكَ، وكُلُّ الصيدِ في باطنِ الفَرَا[2]

لَمَّح بكافات الشتاء إلى بيتيْ ابن سكَّرة، ولمّح بقوله: (وكلُّ الصيد في باطن الفَرَا) إلى المثل المشهور: **(كلُّ الصيد في جَوف الفَـرَا)** وأصلُه: أنَّ قومـًا خرجوا للصيد، فصاد أحدُهم ظبيًا، والآخرُ أرنبًا، وآخرُ فَرَاً - أيْ حماراً وحشيًا - فقال لأصحابه: كُلُّ الصيد في جَوف الفَرَا، يعني أن ما صاده كلُّكُم يسيرٌ بالنسبة إلى ما صِدتُّه!»[3].

(١) هو محمود بن نعمة بن رسلان أبو الثناء الشّيزري الشاعر المشهور. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٤١٣)، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٥/ ٣٥٨).

(٢) **انظر** البيتين في خزانة الأدب لابن حجة الحموي - بتحقيق عصام شعيتو - (١/ ٤٠٦)، وحياة الحيوان الكبرى للدميري (٢/ ٢٨٠)، والنجوم الزاهرة (٥/ ٣٥٨)، وروض الأخيار للأماسي (ص:٣١٢).

(٣) أنوار الربيع في أنواع البديع (٤/ ٢٩٧- ٢٩٨).

- ومن ألطفِ التلميحاتِ قولُ أبي الحسين الجزّار ملمِّحًا إلى بيتيْ ابن سُكَّرة أيضًا:

وكافاتُ الشتاء تُعدُّ سَبعًا
وما لي طاقةٌ بلقاءِ سَبعِ
إذا ظفِرتْ بكافِ الكِيْسِ كَفِّي
ظَفِرتُ بمُفردٍ يأتي بجَمْعِ![1]

- ومن التلميحِ أيضًا قولُ بعضهم:

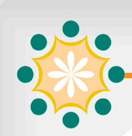
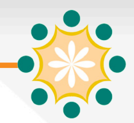
جَاءَ الشِّتَاءُ وَمَا الكَافَاتُ حَاضِرَةٌ
وَإِنَّمَا حَضَرَتْ عَنْهُنَّ أبْدَالُ
قُلٌّ وَقُرٌّ وَقَلْبٌ مُوْجَعٌ وَقِلًى
وَقَادِرٌ هَاجِرٌ وَالقِيْلُ وَالقَالُ![2]

- ومن لطيف ما يُحكى من التلميح أيضًا ما جاء في «نفح

---

(١) البيتان في تاريخ ابن الوردي (٢/ ٢٤٤)، والنجوم الزاهرة (٥/ ٣٥٨)، وأنوار الربيع في أنواع البديع (٤/ ٢٩٧- ٢٩٨).

(٢) الدرّ الفريد وبيت القصيد للمستعصمي (٦/ ٨).

الطيب»[1] للمقَّري في ترجمة دَفتر خُوان الدمشقي، قال: «قال ابنُ سعيد في ترجمة المنتجَب أحمد بن عبد الكريم الدمشقي المعروف بدَفتر خُوان - وهو الذي يقرأ الدفاتر بين أيدي الملوك والأكابر -: إنّه كان يقرأ الدفاترَ بين يَديْ العادل بن أيوب، وكان يكتب له بالأشعار في المواسم والفصول، فينال من خيره، وكتب له مرّة وقد أظلَّ الشتاءُ في دمشق **فقال:**

مولايَ جاءَ الشتاءُ
والكيسُ منها خَلاءُ!
لا زال يجري بما تَرْ
تضي عُلاكَ القضاءُ
وكلُّ كافٍ إليهِ
يُحتاجُ فيه التِّوَاءُ[2]

فقال له العادلُ: هذا الضميرُ الذي في البيت الأول على ماذا يعود؟ قال: بحسب مكارم السلطان، إن شئتَ على الدراهم،

(١) (٢/ ٣٠٠).

(٢) **التِّوَاءُ:** سِمةٌ في الفخذ أو العنق كهيئة الصليب. المعجم الوسيط (١/ ٩١).

وإن شئتَ على الدنانير! فضحك، وقال: هاتِ كِيسَك، فأخرج له كِيسًا يسع قدرَ مائة دينار، فملأه له، وقال: أظنّه كان مُعدًّا عندك، فقال: مثلُ السلطان مَن يكون جُودُه مظنونًا!».

- وقال العبّاسي في قريبٍ له:

قلتُ لذي صَبْوةٍ بكافا
تِ شَتْوةٍ: مِن عِنادِك دَعْني
وَالَهْفَ قلبي على كِساءٍ
يَردُّ بَرْدَ الشِّتاء عنِّي[1]

- وقال أحمد بن الياس الكردي (الملقب بالأرّجاني الصغير) من قصيدةٍ طويلةٍ له في وصف الشتاء:

وتزولُ كافاتُ الشِّتـ
ـاءِ بغيرِ بحثٍ واحْتجاجِ
أمرُ الشدائدِ لمْ يَزلْ
وهُمومُها ذاتُ انفراجِ

(١) معاهد التنصيص – ط عالم الكتب – (٢/ ١٢).

واسْلَمْ ودُمْ لا زِلتَ في الْـــــ
أيـامِ مَـلْـجَـا كـلِّ راجِــي[١]

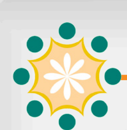
- وكتــب أحمد بن عبــد اللطيف البَرْبِيرُ الحســني إلى خليل المرادي:

قــالــتْ: أرى لــكَ ثــروةً!
فـمتـى ظـفـرتَ بـهـا متـى؟
قلتُ: المراديْ ابـنُ الحسيْـ
ـنِ أجـلُّ مَـنْ أمـسـى فتى
في الـصـيـفِ أسـعَـفَـنـي إلـى
أنْ نِـلـتُ كـافـاتِ الـشِّـتَـا!

- وكتــب أبو المطرِّف بن عُميرة إلى صديـقٍ له قصيدةً، منها قولُه:

جَـدَّ بها جَـدُّ الـشـتـاءِ الـذي
مَـكْـروهُـهُ في الـجـوِّ مَبثوثُ

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للحسيني (١/ ٩٦).




وليس من كافاتِهِ عندَنا

إلا الذي فيه البراغيثُ![1]

يريد الكِساء!



(١) الذيل والتكملة لكتابيْ الموصول والصلة للمراكشي (٥/ ٦٤).

فصلٌ

في احتفاءِ العُلماءِ والأدباءِ بِبيْتيْ ابنِ سُكَّرة، ومُجاراتِهِم لها

طار صِيتُ هذيْن البيتيْن حتى صارا يُعرَفان بابن سُكَّرة، ويُعرَفُ بهما، فيقولون عند ذِكْره: صاحبُ **(كافات الشتاء)**[(١)].

ومِن ثَمَّ فقد احتفى الأدباءُ والشعراءُ بها، وأخذوا يُضمِّنونها أنثارَهم وأشعارَهم، ويُجارونها، ويُعارضونها، ويَنظمون على منوالها. فمِن الشعراء من سبَّعَ، ومنهم من زاد، ومنهم من نقص.

وقد وقفتُ على كثير من الأشعار في ذلك، لكنني انتقيتُ منها هنا أحسنَها وأفضلَها، فإنَّ بعضًا منها يَصدُق عليه ما قاله نورُ الدين اليُوسي (ت ١١٠٢هـ) عنها: «وهذه الأشعارُ كما ترى، الكثيرُ من أصحابها يَقصد إلى إحراز غَرَضٍ فيفوته أغراضٌ، فتجده إذا وفَّى

(١) من ذلك قولُ ابن حجّة الحموي: «ومثالُه: قولُ ابن سكَّرة في بيت الكافات الشتائية، وقد أجاد إلى الغاية». خزانة الأدب وغاية الأرب - بتحقيق كوكب دياب - (٢/ ٦٨).

بذلك الغَرَض تعلَّل به، ولم يتحرَّزْ عن اللفظ الخسيسِ، ولا عن المقصدِ السقيم، ولا عن التركيبِ المختلِّ، والسبكِ الركيك، والحشْوِ، وغيرِ ذَلك مما يُنبئ أنَّ قائلَه متكلِّفٌ، رازمُ العارضةِ[1]، ليِّنُ الجِلدة، غيرُ مطبوع»[2].

فمِمَّن قصدَ إليها من الكُتّاب:

العلّامةُ الحريري في المقامة (الكَرَجِيّة)، قال: «وإني والله لَطالَما تلقّيتُ الشّتاءَ **بكافاته**. وأعدَدْتُ الأُهَبَ لهُ قبل مُوافاتِهِ ...»[3] إلخ ما قال، وقد تقدّم نقلُ كلامِه.

ومنهم الكاتبُ البليغُ ابنُ عرب شاه، ومن ذلك قولُه: «أبرَدَ هلالُ القوس سهمَ بَرْده بمرسومه إلى كل صِماخْ، يُخبر أنَّ

(١) **الرازِمُ:** البعيرُ لا يقومُ هُزالًا. ويُقال: رَزَمَ رُزَامًا: إذا سقَطَ من الإعْياءِ والهُزالِ ولم يتحرّك، أو قام في مكانِه ولم يتحرّك من الهُزال. **انظر:** القاموس المحيط (ص: ١١١٣)، والمعجم الوسيط (١/ ٣٤٢).

(٢) زهر الأكم في الأمثال والحكم (٣/ ٢٠٣).

ومن هذا القبيل مجاراةُ اليافعيِّ لها التي ذكرها في مرآة الجنان وعبرة اليقظان (٢/ ٣٢٢)!

(٣) مقامات الحريري (ص:٢٠١).

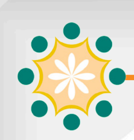
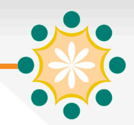
جندَ الشـتـاءِ على عالمِ الكونِ والفسـادِ أناخْ. فلْيستعدَّ له الكُفاة، ولْيحـذرْه العُراةُ والحُفاة. ولا يكتفوا في كَفِّه **بكافاته** فما كلُّ كافٍ لـه كُفُوًا؛ لأنه في هذه المرةِ آيةٌ من آيـاتِ اللهِ فلا تَتَّخذُوا آياتِ اللهِ هُزُوًا!». وقد تقدم في المقدمة حِكايةُ كلامِه.

ومنهم الشَّـيْخُ الحسن بن عمر بن الحسن، بدر الدين الحلبي في كتابـه «نسـيم الصَّبَـا»[1]، حيثُ **قـال**: «حَضَرَتْ فُصُـولُ الْعَام مجْلِسَ الْأَدَب، فِي يَوْمٍ بلغ منهُ الأريبُ نِهَايَةَ الأرب، بمشـهدٍ من ذَوي البلاغـة، ومنتهى صناعَةِ الصياغَة، فَقَامَ كلُّ مِنْهُم يُعرِبُ عَن نَفسِه، ويفتخرُ على أَبنَاءِ جِنسِه .....

وقال الشـتَاءُ: أَنا شـيخُ الْجَمَاعَة، وَربُّ البِضَاعَـة، والمقابَل بِالسَّـمْعِ وَالطَّاعَـة. أجمـعُ شَـملَ الْأَصْحَـاب، وأسْـدُل عَلَيْهـم الـحِجـاب، وأُتحفهم بِالطَّعَام وَالشـرَاب، وَمن لَيْـسَ لَهُ بِي طَاقَةٌ أُغلَـقُ مِـن دُونِه الْبَـاب. أَميلُ إِلَـى الـمُطِيـع، الْقَادِرِ المسـتطِيع. المعتضِـدِ بالبرودِ والفِرَا، المستمسـك من الدِّثـارِ بأوثقِ العُرَى.

---

(١) (ص: ١٨ و ٢٢). **وانظر**: لقطة العَجلان لصدّيق حسن خان (ص: ١٥٥).

المرتقـبِ قُدومـي ومُوافـاتي، المتأهّبِ **للسـبعةِ الـمَشْـهُورَةِ من كافاتي**. وَمَنْ يَعْشُ عَن ذِكْري، وَلم يَمْتَثِلْ أَمْري. أرجفتُه بِصَوْتِ الرَّعْـد، وأنجزتُ لَهُ من سـيفِ الْبَرْقَ صَادِقَ الْوَعْد. وسِـرتُ إِلَيْهِ بعساكرِ السَّحَاب، وَلم أقنعْ من الْغَنِيمَةِ بالإياب!» إلخ ما قال.

أمّا الشعراءُ الذين جارَوْها فكثيرٌ:

منهم اليُوسِي إذْ يقول - وقد زادها كافًا ثامنةً -:

إذا أومـضَ البـرقُ اليـمانيْ وأطْنبتْ
على الأرضِ مِـن جَـوْنِ الوَلـيِّ قِبـابُ

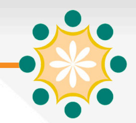
فَـلُـذْ بـثَـمـانٍ هُـنَّ في الـدهـرِ للفتى
وِقـــاءٌ إذا مـا نـالَـهـا وحِـجـابُ:

كَـبـابٌ، وكَـانـونٌ، وكِـنٌّ، وكَـاعِـبٌ
وكَأسٌ، وكِيسٌ، كِسْـوةٌ، وكتـابُ»[1]

وممّـن زادهـا كافًا ثامنةً أيضـًا: محمدُ بنُ عبـد الرحمن بن

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم (٣/ ٢٠٢).

محمد بن مسعود الفنجديهي[1]:

وكَـــمْ لـيـلـةٍ في شـهـرِ كـانـونَ بِتُّـها
أعانقُ مِـن حُبّي بهـا الدِّعْـصَ والغُصْنَا
سَـمعتُ من الـكافاتِ فيها ثمانيًا
فما شِئتَ مِن مَرْأىً أنيقٍ حَوى الحُسْنَا
كَبابـًا، وكِيزانـًا، وكِيسـًا، وكاعِبـًا
كِسـاءً، وكُوبـًا، والكَوانيـنَ، والكِنَّا[2]

وكتب أبو عبد الله المفجّع إلى القاضي الحسن بن سهل بن عبد الله الإيذجيّ وقد قَرَصَ الهواءُ:

يا أيُّهذا الفتَى وأنتَ فتَى الدَّهْــ
ــرِ إذا عـزَّ أنْ يُقال: فتَى
طُوبى لمن كانَ في الشتاءِ له:
كأسٌ، وكِيسٌ، وكِسْرةٌ، وكِسَا

(١) انظر ترجمته في إرشاد الأريب للحموي (٦/ ٢٥٤٩).
(٢) شرح مقامات الحريري للشريشي (٣/ ٤١).

وكتب في الرُّقعة: قد بقيتْ كافٌ أخرى، لولا أنّي أُحبُّ تقليلَ المؤونة عليك لذكرتُها! فبعث إليه بجميع ما الْتمَسَه»[1].

وقال أبو بكر الخوارزمي:

يا مَنْ يُحاولُ صِرْفَ الرَّاحِ يَشربُها
ولا يَفكُّ لما يلقاهُ قِرْطاسَا

الكأسُ والكِيسُ لم يُقْضَ امتلاؤُهما
ففرِّغْ الكِيسَ حتى تملأَ الكاسَا![2]

وقال أيضًا:

أعدَّ الورى للبَرْد جُنْداً مِن الصَّلَى
ولاقيتُه من بينهمْ بجُنودِ

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي (٣/ ٢٨٧)، وإرشاد الأريب للحموي (٥/ ٢١٧٥) بتصرّف.

(٢) الإعجاز والإيجاز للثعالبي (ص: ٢٠٠)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٤٠٢)، والتاريخ المعتبر في أنباء من غبر للعليمي (٣/ ١٨٤)، وزهر الأكم في الأمثال والحكم (٣/ ٢٠٤).

ثـلاثٌ مـن الـنـيـران: نـارُ مُـدامـةٍ
ونـارُ صَـبـابـاتٍ، ونـارُ وَقـودِ[1]

ونحوُه قولُ الصنوبريّ:

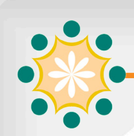
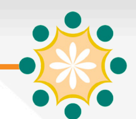
نـارُ راحٍ ونـارُ خَـدٍّ ونـارُ
كحَشَـا الصَّـبِّ بينهـنَّ استعارُ
ما أُبالي ما كانَ ذا الصيفُ عندي
كيـفَ كانَ الشـتاءُ والأمطـارُ![2]

وممّـن أوغل في هذا المشـرَب، ونظمَ فيه وأطنَـب، العلّامةُ محمدُ بنُ محمدٍ الزَّبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) صاحب «تاج العروس» وغيرِه من المصنَّفات الجليلة، فمِن ذلك قولُه:

---

(١) ثمـار القلوب في المضاف والمنسـوب (ص: ٥٨٥)، وأحسـن ما سـمعت كلاهما للثعالبي (ص: ٤٧)، ومعاهد التنصيص (١/ ٢١٩).
وقيل: إنها لابن لَنْكَك البصري.

(٢) الدر الفريد وبيت القصيد (٥/ ٤٨٧)، وسرور النفس (ص: ٣٧٢)، ومعاهد التنصيص (١/ ٢١٩).

إذا مـا هــبَّ سُـلطان الـمَرِيسِــي[١]
وأبـدى الجَــوُّ وَجْهــًا للعُبــوسِ
فزِعــتُ بمُفـردِ الكافـاتِ يأتــي
بجَمْــعٍ حاصِـلٍ هُـو كافُ كِيسِـي
بـه أصبـحـتُ أرفُـــل في كِـساءٍ
بـــه أمــســيــتُ في كِـــنٍّ نَـفيـسِ
بـه تُجلـى مـن السَّــمراءِ كأْسـي
إلـيَّ، علـى يَـدَيْ غِـزلانِ خِيْـسِ
فـأرشُــفُ تـــارةً منـهـا، وطَـــوْراً
مـن الثَّغْـرِ الشَّــنيبِ بِـلا مَقِيـسِ!

---

(١) المَريسي: رياحٌ باردةٌ جدّاً، تُسمّى بذلك في أرض مصر.
قال ابنُ اللّبّاد: «ومنها أنّ الجَنوبَ إذا هبَّت عندهم في الشتاء والربيع وفيما بعد ذلك، كانت باردةً جداً، ويسمّونها المريسي؛ لمرورها على أرض المَريس، وهي من بلاد السودان، وسببُ بردها، مرورُها على بِرَكٍ ونقائعَ، والدليلُ على صحّة ذلك أنّها إذا دامت أيّاماً متواليةً، عادت إلى حرارتها الطبيعية وأسخنت الهواءَ وأحدثت فيه يُبْساً». الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر (ص: ٧). وانظر: المواعظ والاعتبار للمقريزي (١/ ٢١٧)، ونفح الطيب للمقّري (٢/ ٣٥٠).

ولـه أيضـًا:

إذا ضَـمّ قَـطْرُ الـجَـوِّ عنّا معاشَنا
وهـبّـتْ ريــاحٌ بـالـعـشـيّـة بــاردَهْ

قَصرْتُ على كافِ الكتابِ مُطالعًا
ومُـقـتـبـسـًا مـنـه فـوائـدَ شَـــارِدَهْ

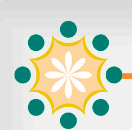
ولـه أيضـًا:

قـد عَـدَّ قـومٌ في الـشـتـاءِ لـذائـذاً
كـافـيّـةً تَـكـفـي لَــدَى الأنـــواءِ

كالكِيسِ، والكانونِ، والكِنِّ الذي
يـأوي لـه الـعـانـي، وكـأسِ طِـلاءِ

ثم الكتابُ، وسادسُ الكافاتِ مِنْ
شمسٍ تُضيءُ دَنَتْ، وكافُ كِساءِ

ولـديَّ أنّ الكِيسَ يَجمعُ كلَّ ما
ذكـروا مِـن الأفـــرادِ والأجــزاءِ!




وله أيضًا:

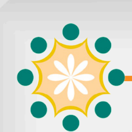
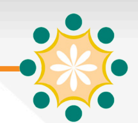
لِكافِ الكِيسِ فَضلٌ مُستمرٌّ
يفوقُ به على الكافاتِ طُرًّا
إذا ظفِرتْ به كفاكَ يومًا
تسنّى سائرُ الكافاتِ قَسْرًا!

وله أيضًا:

إذا هَبَّ سُلطانُ المَريسيِّ غُدوةً
وجَلَّلَ آفاقَ السماءِ سحابُ
وضاقَ لِتحصيلِ الأمانيْ مذاهبٌ
فنِعمَ جليسُ الصالحينَ كتابُ

وله أيضًا:

كافُ الكَياسةِ مَعْ كِيسٍ إذا اجتمعَا
يومًا لِمَرْءٍ، عَلا في العصرِ سُلطانَا
بالكِيسِ يُصبحُ مَقْضِيًّا حوائجُهُ
وبالكَياسةِ يُولي الكِيسَ إحسانَا

والكَيْسُ مُنفرداً مُضْنٍ بصاحِبِهِ
والكِيْسُ مُنفرداً يُولِيه مُجّانَا![1]

وقد قلتُ في مُجاراتِها:

جاءَ الشتاءُ وعِندي مِنْ حَوائجِهِ
سَبْعٌ، فَخُذْ نظمَها مِنْ بَعدِ إلْحَاحِ
كَبشٌ، وكَوْبُ، وكَوْتٌ، بعدَهُ كُتُبٌ
وكَبْسَةٌ، كَرَفَانٌ، كَازُ، يا صاحِ!

فهذه سبعُ كافاتٍ مُستجدَّةٌ، حيثُ لمْ أُكَرِّرْ من كافات ابنِ سُكَّرةَ شيئًا.

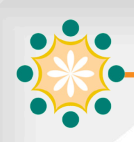
وإليكَ شرحَ بعضِ مفرداتِها:

الكَوْبُ: قَدَحٌ من الزّجاج وَنَحْوه، مُستديرُ الرَّأْسِ، لَا عُرْوَةَ لَهُ، وَهُوَ من آنيةِ الشَّرَابِ (ج) أَكْوُبٌ وأَكْوَابٌ[2].

---

(١) انظر هذه المقطوعاتِ جميعًا في حِلية البشَر في تاريخ القرن الثالث عشَر للبيطار (ص: ١٥١١ - ١٥١٢).

(٢) المعجم الوسيط (٢/ ٨٠٣).

والكَـوْتُ: رداءٌ ثقيـلٌ يُغطِّي الجُزءَ الأعلى مـن البدن، يُلبسُ لتوقّي البَرْد عادةً.

والكَبْسَـةُ: أكْلَةٌ مشـهورةٌ في دول الخليج العربـي، تُصنعُ من الأرزّ واللحم أو الدجاج عادةً، سُمّيت بذلك لأنها تَكبِسُ العقولَ والبطونَ![1].

والكَرَفَانُ: دابةٌ كبيرةٌ تُستَخدمُ في الرِّحْلاتِ، وهي بمثابةِ منزلٍ صغيرٍ متنقِّلٍ!

---

(١) وقد قلتُ في أكْلَةِ (الكَبْسَةِ):

رَهِـيـبٌ أنـتَ يَـا رُزُّ	لِأَنَّـكَ عِـنْـدَنـا كَـنْـزُ!
خُـصُـوصًـا إنْ أَتَـى مَـعَـكُـمْ	خَـرُوفٌ أَوْ أَتَـتْ عَـنْـزُ!
وَكَـانَ الـكَـبْـشُ مَـحْـنُـوذًا	وقُـطِّـعَ حَـوْلَـهُ الـخُـبْـزُ!
ودُسَّ بِـهِ أَبَـازِيـرٌ	وَرُشَّ الـجَـوْزُ والـلَّـوْزُ!
ورافَـقَ ذاكَ بَـطِّـيـخٌ	وتِـيـنُ الـشَّـامِ والـمَـوْزُ
فَـلَـسْـتَ تَـلُـومُـنـي أبَـدًا	إذا مَـا أَزَّنِـي الأَزُّ!
وطـارَ الـعـقـلُ مِـنْ فَـرَحٍ	وصـارَ الـجِـسْـمُ يَـهْـتَـزُّ
فـهـذا الـفَـخْـرُ يـا صَـاحِ	وهـذا الـمـجـدُ والـعِـزُّ!
ولـيـسَ الـفَـوْزُ إلَّا ذَا	فَـنِـعْـمَ الـنَّـصْـرُ والـفَـوْزُ!
فـإنْ طَـعَـنُـوا بـمـا قُـلْـنـا	فَـقُـولـوا لـهُـمُ:......!!

والكازُ: سائلٌ هِيدروكَربوني، مشتقٌّ من النِّفْط، يُستخدم لإشعال الحطب والإنارة وغيرِ ذلك.

كما قلتُ في مجاراتِها أيضًا، وقد جعلتُها جِيمَاتٍ، وجعلتُها مِن عُدَّةِ الخارجينَ للصيدِ والقنْصِ زمنَ الشتاءِ:

جاءَ الشتاءُ وعندي مِن لوازِمه
سبعٌ، إذا صاحبيْ للصَّيْدِ قدْ جَنَحَا
جِمْسٌ، وجَمْرٌ، وجَالونٌ، وجَارِحةٌ
مع الجَوازِ، وجوّالُ الخَلَا، وجُحَا!

الجِمْسُ: نحتٌ عربيٌّ للكلمة الأعجمية: (جي إم سي)، وهي دابَّةٌ كبيرةٌ قويّةٌ معروفةٌ، تمشي على عَجَلاتٍ أربع!

والجالونُ: كلمةٌ مُحْدَثةٌ، وهو إناءٌ معروفٌ يُجعلُ فيه الماءُ وغيرُه.

والجَارِحةُ: هي ما يُصادُ به من الصُّقورِ والشواهينِ والكلابِ وما أشْبَهها.

والجوازُ: وثيقةٌ يحملها المسافرُ؛ لاجتيازِ الحُدودِ الدوليّةِ، فقد يتمادى به الصيدُ حتى يدخلَ حدودَ دولةٍ أخرى، فيُطالَبَ به.

والجَـوّالُ: آلـةٌ صغيـرةٌ تَسْـمَعُ وتُسْـمِعُ! وهناك أنـواعٌ منها تُستعملُ في البَرّ، وهو المشارُ إليه بقولي (الخَلا).

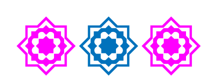
وجُحَا: مرادي به الشَّـخْصَ الـمُضحِكَ الـذي يُـحْرَصُ على اصطحابه عـادةً في مثل هذه الرِّحْلات؛ ليزيـدَ رِحْلة الصَّيدِ بهجةً وحُبورًا!

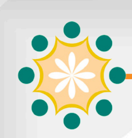
وقلتُ أيضـًا اسـتدراكـًا على بيتيْ ابنِ سُكَّرة، لكنني جعلتُهما من بحر الطويل:

ولَكِنَّمَـا كَافُ الكِتَـابِ أحَـبُّ لي
فذاكَ أنِيسـي في الصَّباحِ وفي الـمَسَا

فمَنْ حازَ هَذي الكافَ أغْنَتْهُ وحدَها
عنِ السـبعِ كافاتٍ ولوْ كانَ مُفْلِسَا!

وقد سبق في باب التلميح ذكرُ طائفةٍ من هذه الطُّرَف، وستأتي إطرافاتٌ أُخَرُ، فلا نلوي على التكرار؛ طلبـًا للاختصار.






فصلٌ

فيمن نَسَجَ على مِنوالِ بيْتَيْ ابنِ سُكّرة في موضوعاتٍ أُخَر

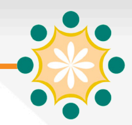
لمّا ذاعتْ أبياتُ ابنِ سُكّرة، قام بالنَّسْج على منوالها جماعةٌ من الشعراء، قال اليُوسي: «وقد فُتِنَ الأُدباءُ في هذا الغرض، فجمعوا من هذا النمطِ أعداداً»(١).

لكنَّ هذه الأشعارَ ليستْ على درجةٍ واحدةٍ من القُوةِ والجزالةِ، ففيها الفائقُ الرائقُ، وفيها المتكَلَّفُ الباردُ! وقد تقدَّم معنا قولُ العلّامة اليُوسي فيها.

فمِن هؤلاءِ الشعراءِ ابنُ التعاويذي(٢)، حيثُ قال في مجلس

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم (٣/ ٢٠٢).

(٢) هو محمد بن عبيد الله بن عبد الله، أبو الفتح، المعروف بابن التَّعَاوِيذي، أو سِبْط ابن التَّعَاوِيذي: شاعرُ العراق في عصره. من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. ولي بها الكتابة في ديوان المقاطعات، وعمي سنة ٥٧٩ وهو سبط الزاهد أبي محمد ابن التَّعَاوِيذي. (ت ٥٨٣ هـ).
قال الزركلي: له (ديوان شعر - ط) اقتنيتُ مخطوطةً منه، فظهر لي أن ناشره الأستاذ (مرجليوث) تعمّد حذْف كثيرٍ من شعره وملأه أغلاطًا! وحبذا لو يُعاد نشرُه. الأعلام (٦/ ٢٦٠).
=

الخمر! عفا الله عنه:

إذا اجتمعـتْ في مجلسِ الشُّـرْبِ سَـبْعةٌ
فما الـرأيُ في التأخيـرِ عنـه صـوابُ
شِـواءٌ، وشَـمّـامٌ، وشَـهْـدٌ، وشَـادِنٌ
وشَـمْعٌ، وشَـادٍ مُطْـرِبٌ، وشَـرابُ![1]

وممّـن أكثرَ النظمَ في هذا الـمَسْـرَبِ، وذهبَ فيه كلَّ مَذْهَب، الإمامُ الصفديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإنه قال: «لما قرأتُ المقامات الحريريّة على الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبي الثناء محمود الكاتب الحلبـي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ووصلـتُ إلى بيتيْ ابـن سُـكّرة ..... التفتَ إلى الحاضريـن وقال: هل فيكم مَـنْ يحفظُ من نوعِ بيتيْ ابنِ سُـكّرة شيئـًا؟

= قلتُ: ليستْ هذه الفضيحةَ الوحيدةَ للمستشرقين، فكم لهم من الفضائح فيما نشـروه!! ولي كتابٌ عن جناياتهم على تراثنا الإسلامي، يسّر اللهُ تمامَه ونشرَه.

(١) انظر الأبيات في وفيـات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٤١٣)، والوافي بالوفيات (٣/ ٢٥٢)، ونكت الهميان كلاهما للصفدي (ص: ٢٤٩)، وروض الأخيار للأماسي (ص: ٣١٣).

فأنشد بعضُ الحاضرين قولَ ابن التعاويذي: ....[١] وسكت الجماعةُ، فأنشدتُه لابن قَزَل[٢]:

عَجِّلْ إِلَيّ فعِندي سَبْعَةٌ كَمُلتْ
وَلَيْسَ فِيهَا مِن اللَّذَّات إعْوازُ
طَارٌ، وطَبْلٌ، وطُنبورٌ، وطَاسُ طِلا
وطَفْلَةٌ، وطَباهيجٌ، وطَنّازُ![٣]

---

(١) ذَكَرَ بيْتيْه السالفيْن في مجلس الخمر.

(٢) هو علي بن عمر بن قَزَل التركماني الياروقي المصري، سيف الدين، المُشِدّ، شاعرٌ، من أمراء التركمان. ولد بمصر، وتقلّب في دواوين الإنشاء، وتوفي بدمشق. له ديوانُ شعرٍ، توفي سنة (٦٥٦هـ). **انظر**: الأعلام للزركلي (٤/ ٣١٥).

(٣) **انظر** البيتين في النجوم الزاهرة (٥/ ٣٥٨)، وزهر الأكم في الأمثال والحكم لليوسي (٣/ ٢٠٢).
الطُّنبور: آلةٌ موسيقيّةٌ ذاتُ عُنق وأوتار، تشبه العود. وهو فارسيٌّ معرَّب. **انظر**: تهذيب اللغة (١٤/ ٤١)، والصحاح (٢/ ٧٢٦)، والمعجم الوسيط (١/ ١٤٠)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٤١٦).
والطَّفْلَة: الجاريةُ الرَّخْصَة الناعِمة. تهذيب اللغة (١٣/ ٢٣٦).
والطباهيج: جمعُ طباهَج، وهو طعامٌ يُعملُ من بيضٍ ولحمٍ. قال الكرخي: «ولا يكون طبيخاً؛ لأن الطبيخ ما له مرقٌ، وفيه لحمٌ أو شحمٌ، =

وأنشدتُه له أيضـًا:

جَاءَ الخريـفُ وَعِنْدِي منْ حَوائجِه
سَـبعٌ بِهـنّ قَـوامُ السَّـمعِ وَالْبَصَـرِ
مَـوْزٌ، ومُــزٌّ، ومَحبـوبٌ، ومائـدةٌ
ومُسْـمِعٌ، ومَـدامٌ طيّـبٌ، ومَرِي[(١)]

وأنشدتُه أيضـًا قولَ الآخَر:

رَمتْنـا يَدُ الْأَيَّـامِ عَن قَـوسِ خَطْبِهَا
بِسـبعٍ، وَهل نَاجٍ مِن السَّبعِ سَالمُ؟

= فأمـا القليَّـةُ اليابسـةُ ونحوُهـا فـلا». ويُطلق علـى الكباب أيضـًا. **انظر**: الصحاح (١/ ٢٠٨)، والمغرب في ترتيب المعرب للمطرّزي (ص: ٢٨٧)، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني (٣/ ٥٩).

والطَّنَّاز: كثيرُ الطَّنْز، وهو السـخرية والاستهزاء. **انظر**: معجم ديوان الأدب للفارابـي (٢/ ١١٤)، وتهذيـب اللغة (١٣/ ١٢٥). قـال الجوهري: وأظنُّه مولَّداً أو معرَّبـًا. الصحاح (٣/ ٨٨٣).

(١) **انظر** البيتين في زهر الأكم (٣/ ٢٠٢).

المُـزُّ: يقال: شَـرابٌ مُـزٌّ، إذا كان بين الحلـو والحامِض. **والمُـزَّة**: الخمرُ اللّذيذة الطّعم. **انظر**: معجم ديوان الأدب (٣/ ٢٠)، والصحاح (٣/ ٨٩٦).

والمَرِي: المَرِيءُ هو الرجلُ بيِّنُ المروءة. **انظر**: العين (٨/ ٢٩٩)

غَـلاءٌ، وغَـازانٌ، وغَـزْوٌ، وغُرْبَـةٌ
وغَـمٌّ، وغَدْرٌ، ثـمَّ غَبْنٌ مُـلازِمُ![1]

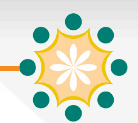
فأعجبـه ذلك وعلّقه، ثـم إنه قال: إلا أنَّ من خاصّة هذا النوع أنـه لا بدّ أن يكـون بعضُ السـبعةِ مَوصوفًا ليقوم الـوزنُ بذلك، فاستقريْتُ ما أحفظُه، فكان كذلك!

والعلّـةُ في هذا، أنها سـبعةُ ألفـاظٍ ويريد الناظـمُ أن يأتيَ بها في بيـتٍ واحدٍ، فيضطرُّه الوزنُ إلى زيادة لفظـةٍ؛ ليكون كلُّ أربعةٍ في نِصفٍ.

وبقـي هذا الـكلامُ في ذهنـي، ولم أكـنْ إذْ ذاكَ مُشـتغلاً بغير التحصيـل والقـراءة والمطالعة، إلـى أن اشـتغلتُ ببعض العلم، فـأردتُ امتحـانَ الخاطـرِ الـمُخاطِرِ بنظم شـيءٍ في هـذه المادة، بحيثُ أن يكون سبعةُ ألفاظٍ بغير زيادةِ وصفٍ فاتّفق لي أن قلتُ:

إِذا تيَسّـر لـي فِي مِصْـرَ وَاجْتمعتْ
سَـبعٌ فَإِنِّـيَ فِـي اللَّـذَّات سُـلْطَانُ

(١) انظر: الوافي بالوفيات (٣/ ٢٥٢)، وزهر الأكم (٣/ ٢٠٢).

خُودٌ، وخَمرٌ، وخَاتونٌ[1] وخادمُها
وخِلْسـةٌ، وخَلاعـاتٌ، وخِـلّانُ!

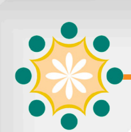
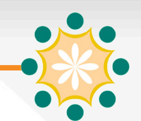
وقلتُ أيضـًا:

إِنْ قدّرَ اللهُ لي فِي الْعُمْرِ وَاجْتمعتْ
سَـبعٌ فَمَـا أنـا في اللَّـذَّاتِ مَغبـونُ
قَصْـرٌ، وَقِـدْرٌ، وقَـوَّادٌ، وقَحْبتُـه
وقَـهـوَةٌ، وقَـنـاديـلٌ، وقـانُـونُ!

وقلتُ أيضـًا في الجمع بين ثَمانيةٍ:

ثَمَـانِيَـةٌ إِنْ يَسـمحِ الدَّهْـرُ لـي بهـا
فَمَـا لِـيْ عَلَيْهِ بعـدَ ذَلِـكَ مَطْلُوبُ
مَقَامٌ، ومَشـروبٌ، ومَـزْحٌ، ومَأْكلٌ
ومُلْهٍ، ومَشْمُومٌ، ومَالٌ، ومَحْبوبُ!

(١) خاتون: جمع خواتين: وهي المرأة شـريفة الأصل، عالية المقام، كان يُلقّب بها نساء الملوك. معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٦٠٣).

وقلتُ أيضًا:

إِلَى مَتى أَنا لَا أَنْفكُّ فِي بلدٍ
رَهينُ جِيماتِ جَوْرٍ كُلُّهَا عَطَبُ

الْجُوعُ، والجَرْيُ، وَالْجِيرَانُ، والجُدَريْ
وَالْجَهْلُ، والجُبْنُ، والجُرذانُ، والجَرَبُ!»[1]

وقال صفيُّ الدينِ الحِلّي في مجالسِ الشُّرب الشَّتْويّة!:

خَليليَّ هُبّا كلَّ يومٍ وليلةٍ
ولا تَطعَمَا حتى الصّباحِ كَراكُمَا

فإنَّ لُيَيْلاتِ الشتاءِ أنيسةٌ
إذا نُمتُما قد فازَ فيها سِواكُما

وقدْ أمكنتْ في مجلسِ الشُّرْبِ سِتةٌ
وكلٌّ على وَفقِ الصّوابِ رِضاكُمَا

(١) الوافي بالوفيات (٣/ ٢٥٢) فما بعد.
وانظر: النجوم الزاهرة (٥/ ٣٥٩).

شُموعٌ، وشَمَّامٌ، وشادٍ، وشادِنٌ

وشَهْدٌ، وشَرْبٌ يَشتَهي أنْ يَراكُمَا[١]

وجمع السرّاجُ الورّاقُ للصيفِ راآتٍ ثمانيةً قابلَ بهنَّ كافاتِ الشتاء، فقال:

عِندي فديتُك راءاتٌ ثمانيةٌ

ألقى بها الحَرَّ إنْ وافَى وإنْ وَرَدا

رَاحٌ، ورَوْحٌ، ورَيْحانٌ، ورِيقُ رَشَا

ورَفْرفٌ، ورِياضٌ ناعمٌ، ورِدَا[٢]

وقال آخرُ:

إذا كان في اسْمِ المرءِ شِينٌ هَوتْ بهِ

إلى الشَّرِّ، فلْيَحْذَرْ أذاهُ المُحاذِرُ

---

(١) الديوان (ص: ٥٤٣).

(٢) زهر الأكم في الأمثال والحكم (٣/ ٢٠٣)، والنجوم الزاهرة (٥/ ٣٥٩)، وشرح مقامات الحريري للشريشي (٣/ ٤٢) ونسبها لغيره، وفي الراء الأولى اختلافٌ بينهم.

قال ابن تغْري برْدي: «هو عندي أقربهم لقول ابن سُكّرة».

شَريفٌ، وشِيعيٌّ، وشَيخٌ، وشَاهِدٌ
وشِمْرٌ، وشِرِّيبٌ، وشَرْحٌ، وشَاعِرُ
سوى الشافعيْ، أو شَاهدٌ راق حُسْنُه
كذا الشهداءُ المتّقون، وشاكِرُ[١]

ولا يَخفى على ذي الذوقِ ما في هذه الأبيات من بُرُودٍ شديدٍ!!

وقال ابنُ حجّة الحموي: «وظريفٌ هنا قولُ من قال:

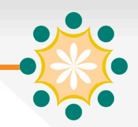
جاءَ الصِّفَاعُ، وعِندي مِن حَوائجِه
سَبعٌ، إذا الصَّفْعُ في مَيدانِه وَقَفَا
نِطْعٌ، وطَرْقٌ، وزَرْيوكٌ، وغاشِيةٌ
ورَكْوةٌ، وجِرَابٌ ناعمٌ، وَقَفَا!

ففي قوله بعد ما ذكره من آلات الصفع: (وَقَفَا). غايةٌ في اللُّطف! وقوّةٌ في تمكين القافية»[٢].

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم (٣/ ٢٠٤).

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب - بتحقيق عصام شعيتو - (١/ ١٥٤).
وقد ذكر محقِّقُ الخزانة أنّ الطَّرْقَ: هو التُّرْسُ. وأنّ الزَّرْيوكَ: ما يُلبسُ على الرأس في المعارك. والله أعلم.

قلتُ: وجهُ القوّةِ فيها أنها من الجِناسِ التامِّ. ووجهُ اللطافةِ أنه أعدّ قفاهُ ليُصْفَعَ عليه كما يَصْفَع!!

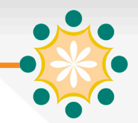
وقال جمالُ الدين أبو الفتح محمد بن يحيى بن محمد الأموي المصري في الربيع:

وافى الربيـعُ ولـيْ سَـبعٌ أُلازمُهـا
لُـزومَ مَـرْءٍ لـهُ في الدهـرِ تَـجْريبُ
مُلْـكٌ، ومَالٌ، ومَمْلـوكٌ، ومُطرِبَةٌ!
مَعَ الـمُدامِ! ومَـحْبوبٌ، ومَرْكُوبُ[١]

وقال مصطفى اللقيمي في الربيع أيضـًا:

وافَـى الربيـعُ فأهـدَى لـي لِنُزهتِـهِ
راءاتِه السبعَ؛ إذْ منها الـمَشُوقُ صَبَا
رَوْضـًا، ورَاحـًا! ورَيْحانـًا، ورَاقصةً!
ورَبْرَبـًا، ورَفيقـًا لي، ورِيحَ صَبَا[٢]

(١) النجوم الزاهرة (٩/ ٢٥٦).
(٢) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي (٤/ ١٦٢).

وقال عبدُ العزيز بن محمد الأنصاري، ابن قاضي حماه:

سِتٌّ عيونٍ مَنْ تأَتَّتْ له
كانتْ له شافيةً كافيهْ

العِلمُ، والعَلياءُ، والعَفوُ، والـ
ـعِزَّةُ، والعِفّةُ، والعَافيهْ[1]

وقال بعضُهم في شروط النكاح:

وللنكاحِ شُروطٌ في لَذاذتِه
قد اجتمعنَ لنا في سِتِّ غَيْناتِ

غُنْجٌ، وغَمْزٌ، وغَمْراتٌ، وغَرْبَلَةٌ
وغَضُّ طَرْفٍ، وغَزْلٌ بالعُوَيْناتِ[2]

وحُكِيَ أنّ أبا نصرٍ القُشيريَّ جلس في المدرسة النظامية للوعظ في رمضان فأُمطروا، فقال:

---

(١) الوافي بالوفيات للصفدي (١٨/ ٣٣٧)، وفوات الوفيات للكُتبي (٢/ ٣٥٩).
(٢) شقائق الأُترنْج في رقائق الغُنْج للسيوطي (ص: ٥٥).




رمضـانُ أرْمضَنـي بِصـاداتٍ على
عَـددِ الطبائـعِ والفُصـولِ الأربعَـهْ
صَـومٌ، وصَوْبٌ مـا يَغيبُ سـحابُهُ
وصَبابَـةٌ، وصُدودُ مَن قلبي مَعَهْ![1]

ونحوُها قولُ بعضِهم:

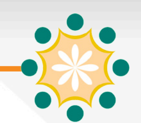
جـاءَ الصيـامُ ومِـن صادِاتِـه بيـدي
سَـبعٌ، فقـد أكسـبتْني بالقبـولِ ثِقَـهْ
صُوفيّتـي! وصَفائـي، في صَلاحِيتَـي
والصَبْرُ، والصَّوْنُ، ثمّ الصِّدْقُ، والصَّدَقَهْ[2]

وقلتُ أنا فيما يُنالُ به العلمُ:

بِخَمْـسٍ يُنـالُ العِلْـمُ يا مَـنْ يَرُومُهُ
فَثابِـرْ ولا تَقْطَـعْ زَمَانَـكَ باللَّهْـوِ

(١) الـوافي بالوفيات (١٨/ ٢٠١)، والعقد المذهـب في طبقات حملة المذهب لابن الملقن (ص: ١٢٠).
وهناك اختلافٌ في ألفاظها. وفي بعض المصادر أنها للثعالبي.

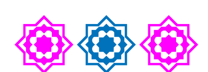
(٢) عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة لابن هذيل (ص: ٩٩).

بِصَبْرٍ، وصِدْقٍ، مَعْ صَلاحٍ، وصُحْبَةٍ
لِشَيْخٍ نَبِيهٍ، والصُّدُودِ عَنِ اللَّغْوِ

وقلتُ أيضًا في الخِصالِ التي باءَ بها المبتدعةُ:

تَبًّا لِمَنْ حَرَّفُوا في الدِّينِ وابْتَدَعُوا
فَقَدْ أَتَوْا بِثَمَانٍ كُلُّهُنَّ خَطَا
غِشٌّ، غُلُوٌّ، غُثَاءٌ، غَفْلَةٌ، غَرَرٌ،
غَدْرٌ، غُرُورٌ، وَغَوْغَائِيَّةُ البُسَطَا



وأختمُ هنا بلطيفةٍ ذكرها خيرُ الدين الأسدي، وهي أنه لما شاعتْ الكُوليرا في حلب، سمَّوْه الهواءَ الأصفرَ. فكان السُكّانُ يشترون ورقةً صفراءَ مطبوعةً يُعلّقونها في البيوت وفيها الأدعيةُ؛ لصَرْف الداء والبلاء!

وقيل: إن الكوليرا ليست هواءً أصفر أو أزرق، بل ماءٌ أصفرُ، أي مُلطّخٌ بجراثيم المرض.

وسَعَتْ السلطةُ لتأمين الكِلْس في الأسواق، فقامت بتوزيع الأطباء على الأحياء.

وقد وردتْ من الشام شائعاتٌ غريبةٌ، كقولهم: إن طبيبًا مع مِقراضَيْن (مِقَصّيْن) بيده، طاف في الأسواق يَقرِض الهواءَ ليُصادفَ الميكروبَ، ثم يضع شيئًا في زنبيلٍ يحمله غلامٌ بجانبه، ويعني قُراضةَ الميكروبات!!

وأنَّ بعضَ الأطباء أطلق المسدساتِ على النهر، بعد حَشْوها بالسُّليماني والبارود؛ لقتل الميكروب!!

وساد اعتقادُ البعض أنَّ بعضَ الأطباء يعمد إلى قتل المريض؛ لقتل الميكروب في بطنه، ويَصلُح به غيرُه! فشاع القولُ أنَّ ما مِن مصابٍ استُدعي له طبيبٌ إلا وقتلَه، ولا من مصابٍ استغنى عن الطبيبِ إلا وشُفيَ مما به! فأصبحوا يكتمون الإصابات؛ لئلا يكونوا عُرْضةً لفتك الأطباء!!

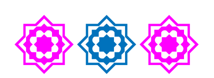
ومع استيلاء الكرب والكساد وإقبال العامة على الكُناسة والكِلْس وشُرب الكُونياك! أُلهم شاعرٌ بتنظيم كافات الكوليرا

السبع (على شَكْل كافات الشتاء الشهيرة) **فقال:**

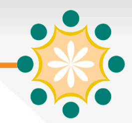
جـاءَ الوبـاءُ وقـد باتـتْ تُقاتلُـه
سَـبعٌ، تَشُـدُّ عليـهِ وهـوَ فَتّـاكُ
كَنْسٌ، وكِلْسٌ، وكُورْدُونٌ، وكَـرْتَنَةٌ
معَ الكَسـادِ، وكَانُـونٌ، وكُونْيَاكُ!

ويقصد بالكُورْدُون: النطاق الصحِّي الذي يُضرب على منطقةٍ مصابةٍ بوباءٍ، فيُمنع أحدٌ من الخروج منها أو الدخول إليها.

أمَّـا الكَرْتَـنَة: فمِن الكَرَنْتِينا، وتعني حجزَ القادم إلى البلد في مركز الحَجْر الصحِّي لمدة أربعين يومـًا[١].



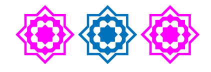
(١) مـن مقـال (الانفلونـزا وذكريـات الأوبئـة في لبنـان) للكاتـب والمـؤرخ: عبداللطيف فاخوري. على (الشنكبوتية) بتصرّف.

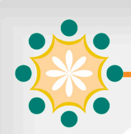
الخَاتِمَة

وخِتامـًا: «فإلى هذا المكَان، أمسـكتُ العَنَان. والإطنابُ في هذا الكتاب يَعظُمُ ويَتّسـع، بل يَتّصـلُ ولا يَنقطع؛ إذْ كان غرضي فيه، أنْ أَلْمحَ المعنى من معانيه، ثم أنجرُّ معه حيثُ انجرّ، وأمرُّ فيه كيـفَ مرّ»[(١)]. فإن يكنْ صوابًا فمن الله، وإن يكنْ خطأً فأسـتغفر الله، هو أهلُ التقوى وأهلُ المغفرة.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصَلَّى اللهُ على نبيّنا وسـلَّم، وبجَّلَ وكَرَّم، وشرّفَ وعظّم، وعلى آله الطيّبين، وصحبهِ والتابعين.



(١) زهر الآداب وثمر الألباب للحُصري (٤/ ١١٦٣).




فهرس الموضوعات

